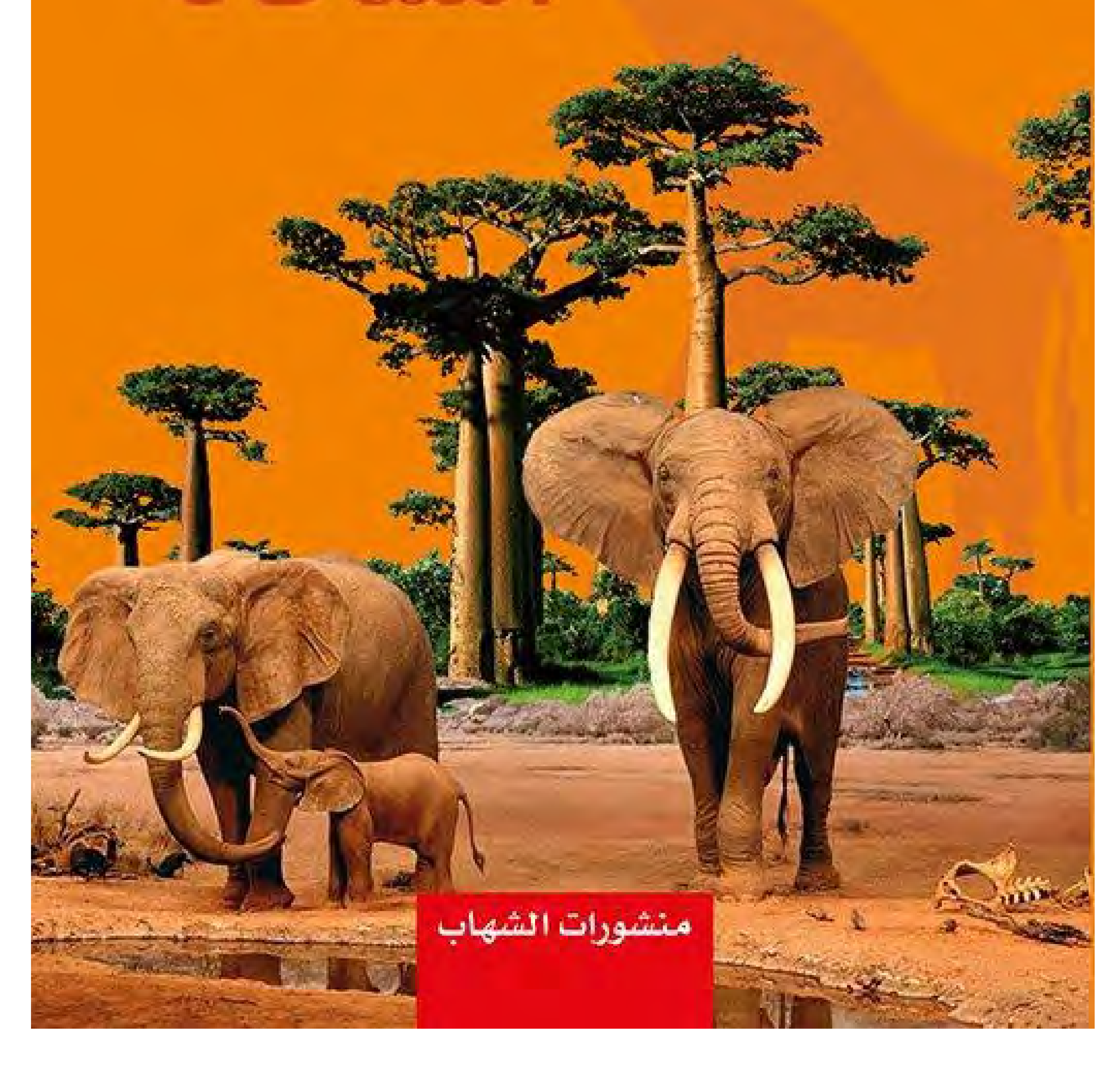
أدب الشباب
JEUNESSE

جون موزي

من حكايا
السافانا



منشورات الشهاب

جون موزي

من حكايا السّافانا

تحت إشراف السيدة إنعام بيوض
مديرة المعهد العالي العربي للترجمة

منشورات الشهاب

تمت ترجمة هذا الكتاب في إطار برنامج دعم النشر
بالمعهد الفرنسي بالجزائر.

INSTITUT
FRANÇAIS
ALGÉRIE

Titre original
26 contes de la Savane par "Jean Muzi"

10، نهج إبراهيم غرافة، باب الواد، الجزائر.
الموقع الإلكتروني : www.chihabeducation.com
الهاتف : 97 54 53 021 / الفاكس : 91 51 97 021
ردمك : 978-9947-39-211-9
الإيداع القانوني : أفريل 2019

تمهيد

تغطّي السافانا ما يربو عن ثلث القارة الإفريقية، وعادةً ما تبدو في شكل غطاء عشبي رحب تكسوه صُفرة أصبغها عليها لفح الشمس، وتنتشر في ربوعها أشجار متباعدة مثل أشجار السنط[1] والباوباب[2] والقابوق[3]، بَيْدَ أنّ حشائش السافانا لا تُشكّل كتلة متجانسة ؛ إذ توجد أربعة أنواع منها هي : السافانا الشُّجَيْرِيّة وتسودها الحشائش الصغيرة والأعشاب القصيرة، وبين هذه وتلك تتناثر شُجيرات ذات

1. السنط : شجرة يتراوح طولها بين مترين وستة أمتار، وقمّتها منبسطة على شكل مظلّة، ولديها لِحاء مزوّد بأشواك واقية، وهو سميك ومنغلق يحتوي على مواد غير قابلة للاحتراق ويقلّل من نسبة تبخر الماء.

2. الباوباب : هذه الشجرة هي سيّدة السافانا. لها جذع ضخم قد يصل محيطه إلى 20 متراً، وتعلوها باقة من الأغصان. جذعها الضخم مشبّع بالمياه وهو بمثابة الخزان الذي تستقي منه الماء خلال فصل الجفاف. وتستعمل بعض القبائل الإفريقية الألياف المستخرجة من جذعها لصناعة الحبال، كما يطهون أوراقها وثمارها لتحضير الحساء والشراب.

3. القابوق : شجرة إفريقية كبيرة، وفي بعض الأحيان يبلغ حجمها ضخامة معتبرة.

أحجام متوسطة. والسافانا النجيلية أو العشبية وتتشكل من مساحات عشبية شاسعة وجافة نسبيًّا تخلو من الأشجار أو الشّجَيرات. إلى جانب هذا، ثمّة نوعان آخران، ألا وهما السافانا الغابيّة والتي تتميز بأشجارها الكثيفة، وأخرى دُغلية تعمرها شجيرات وأشجار أقل كثافة.

يتعاقب على السفانا فصلان فقط، فصلٌ جاف وفصلٌ مَطير، وتصوّرهما بعض الحكايات كما لو أنّهما في صراع دائم. فصل الجفاف في السفانا قائظ جِدًّا، وفي هذه الفترة تجتاح الحرائقُ الحقولَ الواسعة، بسبب العوامل الطبيعية، كأن تصيب صاعقةٌ من الصواعق العشب اليابس، أو بفعل فاعل، لا سيما عندما يريد بعض البشر توسعة مساحاتهم الزراعية. وما إنْ يحلّ فصل المطر حتى تصير الأنهار الجافّة سيلًا جارفًا حقيقيًّا، فتُزهر النباتات وينتثر طلحها بفضل الرياح في كافة الأنحاء والأصقاع، وترتوي أشجار الباوباب، فتكتسي حقول السافانا من جديد ثوبها الأخضر. كما أنّ أغلب الحيوانات البرّيّة تضع صغارها في هذه الفترة.

يجوب عديدُ الأنواعِ من الحيوانات أصقاعَ السافانا الإفريقية بِحُرّيَّة مطْلقة، بحيث تعيش جنبًا إلى جنب مع شعوبٍ شتّى مثل قبائل « السامبورو » و« التركانا » و« الماساي »

وغيرها. كان رجال هذه القبائل قديمًا يرتزقون من الصيد. وكان يتعيّن على بعضهم، مثل مقاتلي الماساي أن يقتلوا أسدًا باستخدام حربتهم القصيرة فقط إثباتًا لشجاعتهم. أمّا الآن، فقد استقرت هذه الشعوب في أماكن محددة وكفّوا عن قتل الحيوانات البرية إلّا لحماية مزروعاتهم، وباتوا يمتهنون تربية الأبقار والماعز والغنم ويقتاتون ممّا تدرّه عليهم من حليب. وكل مساء، يجمعون ماشيتهم ويسهرون الليل إلى جانبها، وقد احتموا من الضباع والأسود خلف سياجات سميكة من الشُجيرات الشوكية.

بين الفينة والأخرى، يحدث وأن تلتقي الحيوانات البرّيّة مع الأليفة في حقول السافانا ؛ وهنا، كما تُصوّرهم لنا بعض الحكايات، قد يتحدّثون أو يتقاتلون أو حتى يُعاون بعضهم بعضًا. تُعدّ حيوانات السافانا في أغلبها من آكلة الأعشاب، وأكثرها تعيش مجتمعةً في قطعان. وهكذا يستفيد الفرد من يقظة القطيع، فتزيد فرصه في الإفلات من الحيوانات المفترسة. وكما هو معلوم، تتغذى الحيوانات العاشبة بالمواد النباتية مثل الحشائش والأوراق والقشور والثمار والجذور وغيرها، ولكل نوعٍ أكله المفضل، ما يجعل المنافسة على الغذاء بينها أمرًا غير وارد، ونضوب العشب أمرًا مستبعدًا، فالأكل متوفر للجميع ولفترات طويلة.

ويفضل حيوان النو[1] تناول البراعم الغضّة الحديثة النمو، ويُقال أن اسم هذا الحيوان اشتُقّ من الغمغات التي يُصدرها عندما يمتلئ بطنه شبعًا : « ج-نو، ج-نو ». أمّا غزال غرانت فيأكل الأعشاب الجافة المتساقطة على الأرض. في حين يُقطّع الحمار الوحشي بثناياه الحادّة الحشائش اليابسة المرتفعة. فيما يقضم الظبي البرّيّ[2] أوراق الأشجار وهو منتصب على قوائمه الخلفية. ويرتضي وحيد القرن له طعامًا أوراق الأشجار التي يتناسب ارتفاعها مع ارتفاع قامته. ويتغذى الفيل من العشب الأخضر خلال فصل الأمطار، والأوراق ولِحاء الشجر خلال فصل الجفاف. وبفضل عنقها الطويل، يمكن للزرافة أن تبلغ الأغصان العالية لأشجار السنط وتلتقم أوراقها مُسرّبةً لسانها بين أشواكها. ويقتات قرد سركوبيتاك[3] من الثّمار وبراعم الأشجار. أما الخنزير البرّيّ[4] فينبش في الأرض بحثًا عن الدرنات والجذور المطمورة تحتها.

1. النو : حيوان ثديي ضخم الجثة ذو رأس سميك وأشعر، وقوائم نحيلة. وحيوان النو شبيهٌ بالظبي في جسده، وبالثور في رأسه وقرونه، والحصان في ذيله وعُرفه (شعر العنق).

2. الظبي البري : شبيه بالغزال والزرافة. ينتصب الظبي البري على قوائمه لالتقام الأوراق من أعلى نقطة ممكنة.

3. السركوبيتاك : قرد ذو ذيل طويل.

4. الخنزير البري : من فصيلة الخنازير، وله أنياب معقوفة.

إنّ أهل السافانا هم أبطال هذه الحكايات الستة والعشرين التي جمعتها في هذا الكتاب واعتنيت بتطويعها وإعادة صياغتها. وهي حكايات مُسلية تحمل بين ثناياها رسائل تعليمية أيضًا ؛ إذ تهدف إلى بثّ روح النقد في القارئ وتلقينه ضرورة التحلي بالذكاء حتى يتجنّب الوقوع في حبائل الاستغلال والخديعة. إنها حكاياتٌ تعكس الحكمة الإفريقية، وهي بمثابة ذاكرة الماضي التي تغذّي الحاضر. وقد كان الشيوخ قديمًا يَروُونها للشباب حين يخيّم الليل، فكان القمر والنجوم أيضًا يُرهفون السمع إلى كلماتهم الصاعدة من حقول السافانا.

جون موزي

يُزيل الفيل آثار أقدام الأرنب
تزيل الأمطار آثار الفيل.
ولكن الحكايا تحفظ آثارهم
ومن أجلنا، تستحضر مغامراتهم.

النّـــار



النار نافعة، ولكن، على المرء أن يُحسن التعامل معها والتحكم فيها كي لا تُحرق كل شيء.

في غابر الأزمان، كانت السماء قريبةً جِدًّا من الأرض، وقد بلغ انخفاضها في بعض الأماكن أنْ لامست رؤوس أشجار السّنط والباوباب والقابوق ؛ وهكذا كان في وسع الإنسان أن يصل بسهولة إلى الشمس ويقتبس منها النار التي يستعملها في طهي غذائه. ذات يوم، أقدمت امرأةٌ، كانت بصدد تحضير طعامها، على ضرب القبّة السّماوية بمدقٍّ كبير كانت تهرس به الذّرة البيضاء عبر تحريكه بحركة منتظمة داخل الجرن. كان مثل هذا الحادث يتكرّر مع الشمس بين الحين

والآخر، ولكن السماء كانت تغض الطرف عنه. غير أن السماء في هذه المرّة تصرّفت بشكل لم يكن متوقّعًا ؛ إذ عزمت على الابتعاد عن الأرض، وهكذا باتت الشمس في منأى عن أيدي البشر.

وقتئذ، راح البشر يتضرّعون إلى السماء بإلحاح علّها تمنحهم قبسًا من النار. وقد استجابت لهم في البداية، فكانت تُلاطم بين غيومها فيثير ذلك برقًا يمدّهم ببعض النار، بَيْدَ أنّها في آخر المطاف ضاقت ذرعًا بطلباتهم، وقالت في غضب :

— إنّ هؤلاء اللّجوجين لا يكفّون عن إضجاري أكثر فأكثر.

ثم أرعدت السماء، فأصابت الصّعقة حقول السافانا وشبّت فيها النيران. احترقت الحشائش المرتفعة والأشجار، وطارد اللهب الحيوانات ففرّت الفيلة والزرافات والثيران ووحيدو القرن، تسبقهم الحمير الوحشية وحيوانات « النو » والغزلان، وتعقبهم الحيوانات الأصغر كالعظايات التي استغلت طيور اللقلق الفرصة وأخذت تلتقمها بشراهة. أمّا التماسيح وفرس النهر فقد ظلت في مأمن من النار داخل الأنهار وروافدها.

كما صارت بعض الحشرات الغافلة التي شبّت فيها النيران ذات طبيعة وهّاجة، فأصبحت تلمع خلال الليل، ولذلك سُميت باليراعات أو فوانيس الليل. وأتت النار كذلك على

الحيوانات البطيئة، مثل السلحفاة التي صمدت وتمكنت من النجاة، لكنها اكتسبت قشرة سميكة فوق جسدها، ولم تزل تحملها إلى غاية يومنا هذا.

وبعد هذه الحادثة، كفّ البشر عن استجداء النار من السماء. وتعلموا كيف يوقدونها بأيديهم عبر الطَرْق بين حجرين، أو الفرك بسرعة بين قضيبٍ وقطعة حطب جافة.

شجرة الباوباب



يمكن لشجرة الباوباب، سيّدة السافانا أن تُعمّر قرونًا عديدة، وقد كانت في السابق الأكثر سخاءً وعطاءً من بين كل أشجار السافانا.

ذات ظهيرة، وبينما كانت كل السفانا غافيةً تحت وطء الشمس الحارقة، توقّف الأرنب أسفل شجرة من أشجار الباوباب وقال :

— إنّ ظلّ هذه الشجرة لمنعش جدًّا.

فسمعته الشجرة، واغتبطت لهذا الإطراء، وراحت تهزّ أوراقها تعبيرًا عن سرورها.

ثمّ أردف الأرنب :

— ولكن يُقال بأن ثمارها ذات مذاق سيّئ.

اغتاظت الشجرة، وعلى الفور أسقطت ثمرةً من ثمارها التي تُدعى خبز القرد[1]، بالقرب من الحيوان. نزع الأرنب قشرها وقضم بأسنانه ما بداخلها وجعل يتلذّذ به. ثمّ قال وقد رأى بأنّ الشجرة تتجاوب مع مضايقاته لها :

— لقد كانت الثمرة لذيذة، غير أن هذا لا يعني بأن طَعم لبّ الشجرة بنفس هذه اللّذّة.

انزعجت شجرة الباوباب من تشكّك الأرنب، وأخذ جذعها الضخم ينشقّ ببطء ؛ ولشدّ ما دُهش الحيوان لمّا رأى ما يخفيه من عجائب وثروات لا تُسبر ولا تُحصى، الكثير من المجوهرات الذهبية والفضية واللآلئ والأثواب المُطرّزة. عندئذ، أطلق الأرنب صرخة إعجاب، فيما راحت الشجرة المُغتبطة تهزّ أوراقها، فامتزج حفيف الأوراق بالألحان المنبعثة من آلات الطام طام[2] التي يعزف عليها البشر وهي تتردّد من بعيد.

1. خبز القرد : ثمرة شجرة الباوباب، هي بحجم حبة القرع الصغيرة وغنية بالفيتامين « س ».

2. الطام طام : طبلٌ يُستعمل في إفريقيا السوداء كأداة موسيقية أو كأداة لبعث الرسائل.

أخذ الأرنب الثروات التي أهدته إيّاها شجرة الباوباب، فأجزل لها الشكر، ثم قفل بسرعة الريح عائدًا إلى جحره. وسرعان ما تزيّنت زوجة الأرنب بالمجوهرات مُثيرةً إعجاب البعض وغيرة البعض الآخر.

وإن هي إلا أيام حتى جاء الضبع إلى الأرنب مُستفهمًا عن مصدر ثروته المفاجئة، فقصّ عليه الأرنب مغامرته ؛ وانطلق الضبع راكضًا حتى بلغ شجرة الباوباب، وفعل كما الأرنب. استظل بظلّها، واستطاب بثمرها، ثم حصل على هداياها الفاخرة. ولكنه لم يَقنع بهذا، فأخذ، مُنقادًا إلى طمعه، في قضم لبّ الشجرة بشراسة كي يحفره اقتناعًا منه بوجود ثرواتٍ أخرى بين طيّاته.

وعلى الفور، أقفلت الشجرة المكلومة جذعها الضّخم مُطبقةً على الضبع الذي لم يلبث طويلًا حتّى مات.

ومُذّاك، عاشت الباوباب وحيدةً، ولم تعد تُظهر أيّ علامة من علامات الكرم والعطاء تجاه البشر أو الحيوانات في السافانا، حتى وإنْ لم يزل هؤلاء ينعمون بظلّها دائمًا.

الصّياد واللّبؤة



لدى شعب « البانتو » مثلٌ يقول : « منْ يُسكِبُكَ دمعَك، فأسْكِبه دمَه ». وهذا ما تمكّن ابن آوى الدّاهية من تحقيقه مستفيدًا من مساعدة الصّيّاد.

كانت شدّة القيظ في حقول السافانا لا تفتأ ترتفع أكثر فأكثر، وأضحى الماء نادر الوجود فعانت الحيوانات ويلات العطش. ما عادت اللبؤة تقوى على الصيد كثيرًا، وباتت عاجزة عن اقتناص ولو غزال أو حيوان واحد من حيوانات « النو » كي تسدّ بها رمق شِبْلَيها. مرّت عدّة أيام لم يذق خلالها الشّبلان شيئًا، فاستبدّ القلق باللبؤة. وكي تنقذ حياتهما، هاجمت

صغار ابن آوى وقضت عليهم جميعًا. صادف أنْ شاهد طير أبو سعن[1] الحادثة، ورَاحَ يروي لابن آوى المكلوم تفاصيل ما حصل، فأقسم هذا الأخير على الانتقام.

بعد مرور بضعة أسابيع، لمح صيادٌ يحمل قوسًا الشّبلين وقد تركتهما أمّهما وحيدين تحت شجرة السّنط. وهبّت ريحٌ في المكان فحملت معها رائحة الرجل، ما حال دون أن يشتَمَّها الشبلان ويكتشفا وجوده. اقترب الصياد منهما ببطء دون إحداث جلبة، ثم أخرج سهمًا من كنانته، شدّ قوسه وسدّد بقوة، فسقط أحد الشبلين مُصابًا. وحاول الآخر الفرار، ولكنه تلقى سهمًا هو كذلك. وبعد أن تأكّد الصياد من أنّهما فارقا الحياة، حملهما على ظهره، وقفل عائدًا إلى مسكنه. ولاحقًا، علمت اللبؤة بالفاجعة عبر أحد حيوانات السرقاط[2] الذي كان شاهدًا على الحادثة.

في اليوم الموالي، تقمّصت اللبؤة، وقد أفقدها الحزن صوابها، شكل امرأة ومضت في البحث عن الصياد. ولمّا

---

1. أبو سعن : طائر ضخم ذو ساق طويلة وريش رمادي وأبيض ومنقار طويل. عنقه بلا ريش مُنغرز بين جناحيه.

2. السرقاط : حيوان ثديي آكل للحم، شبيه بالنمس. غالبًا ما يقف منتصبًا على قوائمه الخلفية لحراسة محيطه. وإذا ما أحس الحارس بأدنى خطر، يطلق صرخة فيلوذ كل القطيع بالفرار داخل جحورهم. يعتمد في صيده على حاسة الشّم، ويهاجم الحشرات والقوارض والعصافير والثدييات الصغيرة الأخرى.

وجدت قريته استقرت بها. ومن شدّة جمالها، تهافت الرجال عليها طلبًا للزواج بها، غير أنها صدّتهم جميعًا. ثم عندما تقدّم الصياد لطلب يدها، وكان متزوّجًا من قبل، وافقت أن تصير زوجةً ثانيةً له. وقالت في قرارة نفسها : « هكذا، سأتمكن من الثأر لصغاري ». وسريعًا، أُقيم حفل الزفاف، ثمّ اقترحت الزوجة الجديدة على بعلها أن تعرّفه إلى أخيها، وزعمت قائلةً :

— لقد توفي والداي، ولم يتبقَّ لدي إلا أخي. هلمّ بنا نزوره، وسيكون سعيدًا بالتعرف إليك.

بعد مرور بضعة أيام، استيقظ الزوجان مع إطلالة الفجر وجهّزا نفسيهما للرحيل، وحمل الرجل قوسه وكنانته، فسألته المرأة :

— هل تنوي أن ترمي أخي وأهل قريته بسهامك ؟

— لا، لا !

— إذن، دع هذا كله هنا.

امتثل الزوج لرغبة زوجته، ثم انطلقا في طريقهما. ولكنّ الزوجة الأولى سرعان ما أخذت حصيرةً، ولفّتها على عَجَل بعد أن أخفت بداخلها القوس والكنانة وحزمت هذا كله ثم سارت خلفهما، وبعد فترة وجيزة لحقت بهما وقالت :

— ستحتاجان لهذه الحصيرة كي ترتاحا عليها عندما تتعبان.

شكر المسافران الزوجة الأولى ثم تابعا طريقهما عبر السافانا، فيما عادت هي إلى القرية. وبعد برهة، طلعت الشمس فبدأت شدّة الحر ترتفع رويدًا رويدًا. وبين الفينة والأخرى، كان الصياد يتعرّف على أماكن شهدت بعضًا من مغامراته السابقة في الصيد، فقال في أحد الأماكن :

— قبل بضعة أشهر، قتلت أحد حيوانات « النو » هنا.

ولاحقًا في مكان أبعد، ذكر لها غزالًا كان قد أصابه، ولكنه أفلت بجلده. وبعد قليل، جعل يتباهى قائلًا :

— أترين شجرة السنط تلك، لقد قتلت شبلين تحتها.

رمقته المرأة بنظرة مُتكدّرة، ثم أخذت تتحول ببطء إلى لبؤة من جديد. وتجمّدت فرائص الصياد من شدّة الخوف. ولم يفهم ما كان يحدث حوله ؛ فأغمض عينيه لبرهة معتقدًا بأن ما يراه مجرّد هلوسات، وأن هذه اللبؤة ستختفي ما إن يفتحهما من جديد. لكنّها كانت لا تزال رابضة أمامه. زمجرت اللبؤة مهدّدةً، وقالت :

— إنك تستحق العقاب على قتلك صغاري.

— كوني رحيمة معي، فأنا زوجك.

— بالنسبة لي، أنت قاتل شبلاي.

— كل أفراد عائلتي يمتهنون الصّيد أبًا عن جَدّ، فما كنت أمارس إلّا عملي.

– لقد قتلت صغاري، وسوف تنال عقابك على هذه الجريمة.

– أنتِ أيضًا تقتاتين من الصيد، ومعروفٌ أنك قاتلة دموية.

– أنا، لم أهاجم أطفالك قَطّ.

– ربما لأنّه لم تتح لك الفرصة لفعل ذلك.

وبينما كانا يتجادلان، اقترب منهما ضبع. فسألته اللبؤة :

– في رأيك، ما العقوبة التي يمكن أن أنزلها على هذا الرجل بسبب قتله صغاري ؟

أجاب الضبع :

– عليك أن تطلبي النُّصح في هذا الأمر من ابن آوى.

– اذهب وابحث عنه.

وسريعًا، عاد الضبع بصحبة ابن آوى.

حينما كانت اللبؤة تحدّث ابن آوى، لمح هذا الأخير الحصيرة مُلقاةً بين قدمي الصياد ؛ فأدرك من شكلها بأنها تحوي قوسًا وكنانة. وأنّ الرجل لم ينتبه لهذا. فقال في سرّه : « ها هي الفرصة قد حانت أخيرًا للثأر من اللبؤة بسبب قتلها صغاري ».

وفكّر قليلًا ثم قال :

— في الحقيقة، القضيّة بسيطة، إذ يكفي أن تَبْسُطها لتجد العقوبة الواجب تصويبها. وإن كان الرّامي حاذقًا، فستكون في عِداد الموتى.

صرخت اللبؤة :

— إني لا أفقه شيئًا من بربرتك.

بينما ابتسم الرجل، ذلك أن رسالة ابن آوى كانت في غاية الوضوح بالنسبة له.

قال ابن آوى في رَوِيّة :

— سأشرح لك.

وأخذ يقترب من اللبؤة المفترسة، ويكرر ببطء عبارته السّابقة، ريثما بسط الصياد الحصيرة وأمسك القوس والكنانة. وبعدها تنحى ابن أوى جانبًا، كي يتيح للرجل تصويب سهمه بدقّة. وأُصيبت اللبؤة في قلبها مباشرة، ثم لم تلبث طويلًا حتّى ماتت. وَهَبَ الصياد اللحم لابن آوى الذي تقاسمه مع الضبع، وانصرف مبتعدًا. وحال ما عاد إلى بيته، روى مغامرته لزوجته الأولى وشكرها على القوس والكنانة الذين أخفتهما في قلب الحصيرة، ووعدها بأن لا يتّخذ عليها زوجة أخرى بعد الآن.

الأرنب وابنة الأسد



في الحكايات الإفريقية، غالبًا ما يُصوَّر الأرنب كأكثر الشخصيات دهاءً ومكرًا من بين الحيوانات.

يُحكى أنه كان للأسد بنتٌ رائعة الجمال في سن الزواج، فاستدعى يومًا كل حيوانات السافانا كي يختار لها عريسًا. وحينما الْتَأم الجمع، أظهر لهم الأسد قِدرًا كبيرةً موضوعةً على النار، وبداخلها سائل يغلي. ثم أعلن للجميع :

— سأمنح يد ابنتي لمن يتجرّع محتوى هذا الوعاء دفعةً واحدة.

انكفأ غالبية الحيوانات عن إجراء الامتحان خوفًا من الاحتراق بالماء الساخن. ورَغب بعضهم في تجريب حظهم ولكنهم

باؤوا بالفشل جميعًا. وكان الأرنب آخر من قام للتجربة، فأمسك بالوعاء، والأبخرة تتصاعد منه، وراح يعبّر لهم عن حبّه الشديد للأشربة المغلية. ولكن، قبل أن يشرع في الشرب، جعل يطوف ببطء بين الحضور، ويتوقف عند كل حيوان ليُشهده مُردّدًا نفس القول :

— يا صديقي العزيز، يمكنك أن تلاحظ أنّ هذا الوعاء مليء بالسائل المغلي.

وكانت الحيوانات الواحد تلو الآخر يُصدّقون على كلامه. وعندما انتهى الأرنب من المرور على الجميع، كان السائل قد برد ؛ وقتئذ، بات بإمكانه تجرعه دون أن يحترق، وسرعان ما أخذ الجميع يصفقون له. وهكذا، زوّج الأسد ابنته من الأرنب وفاءً بعهده. وأقام لهما عرسًا عظيمًا دام سبعة أيام بلياليها، تناول خلالها الضّيوف من المأكولات حتى أُتخموا. ولا يزال كبار السن في السافانا يتحدثون حتى الآن عن هذا العرس بكثير من الحنين.

لماذا يعيش التّمساح تحت الماء ؟



في الأصل، لم تكن جميع الحيوانات
على المظهر ذاته الذي هي عليه حاليًا.

كانت الأمور في السابق مختلفة عمّا هي عليه الآن، فقد كان التمساح والكلب صديقين يعيشان على مقربة من نهرٍ عظيم. كانت أفواه كل منهما بالغة الصغر ؛ فكان من الصّعب عليهما الصيد أو الدّفاع عن نفسيهما، عدا عن أنهما كانا مُضطرّين للشّرب ببطء، ما عرّضهما للعديد من الأخطار بالقرب من منابع المياه. كما لم يكن بإمكانهما الأكل إلا بتمهّل، ولذا غالبا ما كانت تُسرق منهما وجباتهما قبل أن يفرغا منها.

ذات يوم، وجد الكلب سكينًا مرميًا بين أحراش السافانا. فقال في نفسه : « ستُغيّر هذه الأداة حياتي »، ثم التقطها وقصد التمساح ليُريَه إيّاها.

— انظر ماذا وجدت.

سأل التمساح في دهشة :

— وفيمَ يُستعمل هذا ؟

— للتقطيع.

— وكيف علمت بذلك ؟

— لقد رأيت رجلًا يستعمله لتقطيع طريدته.

— ولكن ماذا تريد أن تفعل به أنت ؟

— سأعطيك إيّاه لتشقّ به فمي كي يصبح كبيرًا، وهكذا أتمكن من الشرب والأكل والقضم بسهولة ويُسر.

وافق التمساح على أن يشقّ له صديقه الكلب فمه هو كذلك.

— موافق، قال الكلب.

أدخل التمساح السّكّين في فم الكلب وراح يقطّع فيه. أخذ كل وقته وعمل بإتقان، وكانت النتيجة مُرضيةً للكلب تمام الرِّضا. ثم قال التمساح وهو يسلّم السكين للكلب :

— الآن دورك.

غرس الكلب السكين في فم التمساح وجعل يقطّعه بسرعة. وكاد من هَوَجِه أن يفلق رأس التمساح إلى نصفين ؛ فصرخ فيه التمساح :

— أحمق، هل رأيت ماذا صنعت. لم يعد بإمكاني الظّهور أمام الملأ بمثل هذا الفم أبدًا. يجب علي أن أختبئ في النهر.

وردّ الكلب في ارتباك :

— أرجوك سامحني !

زمجر التمساح :

— أبدًا ! وأحذرك، إن أتيت مرّة أخرى إلى النهر لتشرب، فسأفترسك، وأسحبك تحت الماء وأنهش لحمك.

عندها ولّى الكلب هاربًا. ومن يومها استقر به المقام إلى جوار البشر، فيما عاش التمساح في المياه وأضحت كل الكائنات تخشاه بسبب فمه الضخم.

قصّة شَعر الفيل



في هذه الحكاية، نرى الأرنب الصغير
وهو يهزأ من عملاق السّافانا.

كان الفيل ملك السافانا. وكانت مملكته من الرحابة والاتساع ما جعله يتخلى عن قِسمٍ منها لشقيقه الأصغر الذي صار حاكمًا على أكثر الأراضي جدبًا في المنطقة كلها. وذات يوم، توفي الشقيق الأصغر في حادث، فكان على الفيل أن يذهب ليحضر جنازته.

ونظرًا لعجرفته الكبيرة، قام باستدعاء أفراد حاشيته وطلب منهم مرافقته وهم في أبهى حلّة ولباس.

— أريد أن ينبهر الجميع بنا أشد الانبهار.

قال لهم هذا، قبل أن يسألهم رأيهم حول الثوب الذي يمكن أن يرتديه بهذه المناسبة.

قدم أفراد الحاشية اقتراحاتهم، غير أنه لم يأخذ بأيٍّ من نصائحهم. وعندها، توجّه الفيل للأرنب مُخاطبًا :

— وأنت، يا مَنْ تلتزم الصّمت، لا بد أن في ذهنك فكرة.

— يا جلالة الملك، لا شك في أنّه سيرضيك أنْ تعتمر قبّعةً فريدة لا عين رأت مثلها ولا أذن سمعت.

— وأين أجدها ؟

— لا داعي للبحث يا مولاي، إنها أمامك. ما عليك إلا أن تمنحني ثوبًا من ثياب البوبو[1] مُطرّزًا بالذهب، ثم ضعني فوق رأسك. وهكذا تكون محطّ أنظار جميع من سيحضر الجنازة.

سُرّ الملك باقتراح الأرنب، وهتف إعجابًا :

— فِكرة رائعة !

أُلبِسَ الأرنب الثّوب واتخذ مقعده على رأس الملك، ثم تجمع عدد غفير من أفراد الحاشية، و انطلق الموكب في المسير

1. البوبو : ثوب تقليدي طويل.

خلال طريقٍ طويلة عبر حقول السافانا. وحينما بلغوا المكان المقصود، اختلط الأمر على الجمهور المحتشد، وظنّوا بأن الفيل ما هو إلّا الدّابّة التي جاء الأرنب (الملك) على متنها، وراحوا يحيّون الأرنب، فيما بادر الخدم إلى ربط الدّابة ذات الجلد السميك إلى شجرة من أشجار السّنط.

ووثب الأرنب على الأرض وجعل يتصرف كما لو أنّه هو ملك السافانا. حينذاك، مزّق الفيل المُهان قيوده، وهجم على الأرنب مُطلِقًا نحيمه الغاضب ؛ فلاذ الأرنب بالفرار، وتمكن من النفاذ بجلده بعد أن نزع ثوب البوبو كي يتمكّن من الجري بأقصى سرعة. ومنذ هذه الحادثة، دأب الفيل دون كلل على اجتثاث كل ما يُقابله من أشجار أملًا في أن يعثر على الجُحر الذي يختبئ بداخله الأرنب.

الأسد والعنكبوت



على عكس القارّات الأخرى، للعنكبوت حضورٌ قويّ ومؤثّر في حكايات القارّة الإفريقيّة، لا بل إنّها تُزاحم أكثر الحيوانات قوّة وضخامة.

يُحكى أن العنكبوت رغبت ذات صباح في أكلةِ سمك. فحملت الشبكة الكبيرة التي كانت قد نسجتها ومضت صوب النهر، وظلّت تصطاد إلى أن انتصف النهار، فأمسكت الكثير من السمك. حينئذ، حدّثت نفسها قائلةً : « سأستمتع بهذا الأكل وأستلذّ به ». جمعت بعض الحطب اليابس، وأوقدت نارًا على حافة النهر، وجعلت تشوي السمك، فرآها الأسد الذي قصد النهر ليطفئ ظمأه. وبعد أن ارتوى، اقترب منها

وحيّاها، فردّت عليه التّحيّة وهي تحاول إخفاء ما اعتراها من قلق :

— صباح الخير.

سألها الأسد :

— ماذا تطبخين ؟

— لا شيء مُهم، إنني فقط أشوي بعض السمك الصغير الذي اصطدته قبل حين. ولكنني، للأسف، أخشى أنّ الكمية لا تكفي لإشباع اثنين.

— هذا ليس مهمًا، فأنا لا أرغب إلّا في تذوّقها حتى أرى مدى إجادتك في الطهي.

وهكذا اضطُرّت العنكبوت إلى دعوة الأسد. تذوّقَ سمكةً فوجدها لذيذة، ثم تذوق واحدة ثانية، وثالثة حتى التهمها جميعًا. وما كان للعنكبوت إلّا أن ترضى برائحة الشّواء. كانت في قمّة الغضب وعاهدت نفسها، وهي تبكي من شدة الغيظ، بأنها ستبذل قصارى جهدها للأخذ بثأرها. ولمّا لمح الأسد دموعها سألها :

— ما الذي يبكيك ؟

— لا شيء، إنه فقط الدخان تسرّب إلى عينَيّ.

وفي تلك اللحظات، رأيا طائر حبش بري مُرقّش قادمًا ليشرب. وحينما لمح الطائرُ الأسدَ، عَدَل عن الهبوط وابتعد. تتبّعته العنكبوت بنظرها، ثم قالت :

— إنه أحد أصدقائي، لا بد وأنّه قد خاف منك.

— إن ريشه جميل جِدًّا، أجاب الأسد.

قالت العنكبوت زاعمةً :

— أنا التي أعطيته هذا المظهر، وكان سعيدًا جِدًّا به.

— لم أكن أعلم بأنّ لديك مثل هذه الموهبة !

— لقد ورثتها عن والدتي. إن أردت، يمكنني أن أصنع لك فروًا مرقَّشًا. ولكن يجب أن تعلم بأنّ هذا قد يُسبب بعض الألم أحيانًا.

قال الأسد :

— ليس مهمًّا. أريد فروًا لا أحد من أقراني كسب مثله قطّ. هيّا، ابدئي في العمل حالًا.

— كما تريد. ولكنّي أوّلًا أحتاج جاموسًا.

استغرب الأسد قائلًا :

— لماذا ؟

— لأصنع من جلده سُيورًا.

— وفيما تلزمك السيور ؟

أجابت العنكبوت :

— سترى ذلك لاحقًا.

قصد الأسد حقول السافانا ووجد قطيعًا من الجواميس، فقتل واحدًا صغيرًا وسلخه، ثم قطّع جلده إلى سيور طويلة. وبينما هو مُنهمك في عمله، كانت العنكبوت التي لحقت به تغبّ من اللحم غبًّا. وقالت في نفسها : « إنّه حقًّا أطيب من السمك ». وعندما فرغ الأسد من عمله، كان بطنها قد امتلأ. قالت له :

— احمل هذه السيور، وهيّا بنا إلى شجرة « القابوق » تلك التي تتراءى لنا هناك.

ولمّا انتهيا إلى أسفل الشجرة، سألته العنكبوت إن كان في استطاعته اقتلاعها من جذورها. فحاول الأسد دون أن يفلح في فعل ذلك.

قالت العنكبوت في سرور :

— جيّد، يجب عليك الآن أن تُعانق الجذع بقوائمك الأربع كي أتمكن من ربطك.

تردد الأسد وقال :

— لماذا تريدين تقييدي ؟

— لا أملك خيارًا آخر، إذا لم أقيّدك، فقد تتحرك وتُفسد فَرْوَك.

عانق الأسد الشجرة، وأوثقته العنكبوت بإحكام باستخدام السيور. ثم التقطت قطعة حطب يابس، وأضرمت فيه النار ومرّرته عبر جلد الأسد الذي راح يزأر من شدة الألم، وقالت :

— هذا مُقابل السمك الذي أكلته قبل حين. وليست هذه إلا البداية فقط.

واستمرت العنكبوت في تعذيب الأسد ؛ فكان يسقط بين الحين والآخر مغشيًّا عليه تحت وطأة الألم الشديد. وحينما اكتفت العنكبوت من عذابه، كانت مُقاومة الأسد قد تلاشت، وتلوّن جلده المحروق كليًّا باللون الأسوَد. قالت في استهزاء :

— كم هو صعبٌ التّعرّف عليك في هيئتك هذه.

حينها، قفلت العنكبوت راجعةً إلى بيتها، سعيدةً بأخذ ثأرها. وظلّ الأسد مربوطًا إلى الشجرة، ينتحب من شدة الألم والسّخط. رآه بعضٌ من النمل الأبيض[1] فرَأَفَوا لحاله، وراحوا يقضمون السيور حتّى حرّروه. وهكذا، أمسى الأسد، وقد توشّح بالسّواد، أضحوكة السافانا كلها خلال شهور طويلة. ولكنه في الأخير استعاد لونه الأصهب بعد أن نما شعره من جديد.

---

1. النمل الأبيض : حشرات تعيش ضمن مجتمعات (كالنحل)، ويتكون من أنثى تضع البيض ذات بطن ضخم (الملكة)، وذكر (الملك)، وعدد كبير من العاملات اللاتي تشتغلن في بناء خلية النمل الأبيض وجلب الطعام، وجنودٌ مهمّتهم الدفاع عن الخلية.

الفيل السّاخط



تضع غالبية الحيوانات عدّة صغار في الولادة الواحدة، ولكن الفيل لا يستطيع أن ينجب إلا دغفلًا واحدًا كلّ مرّة...

على الرغم من كونه ملك السافانا، لم يكن الفيل راضيًا عن قَدَره. ذات يوم، طلب مُقابلة الخالق، الذي وافق على استقباله ودعاه للعشاء. وعند انتهائهما من الأكل، سأله الخالق :

— ما الذي دعاك لزيارتنا ؟

ردّ الحيوان ذو الجِلد السميك :

— إنها حالي التي ما فتئت تزيد من تعاستي أكثر فأكثر.

— أعتقد أنك تملك كل ما يلزمك لتكون سعيدًا، فجميع من في السافانا يحترمك ويهابك، وما من شيء ينقصك هناك.

— أجل، ولكنّني لا أستطيع أن أنجب إلا دغفلًا واحدًا في المرّة الواحدة، وأريد أن أعرف السبب وراء هذا.

ابتسم الخالق، ثم اقترح على الفيل قضاء الليل عنده لأنّ الوقت قد تأخر، وقال :

— ستعود إلى السافانا في الغد. وريثما يحدث ذلك، فكّر مليًا في الأمر، وستصل لوحدك إلى الإجابة عن سؤالك.

قضى الفيل الليل في حقل الذُّرة الذي يملكه الخالق. وفي الصباح، سأله هذا الأخير إن كان قد وجد الجواب عن سؤاله. فردّ عليه الفيل بالنفي.

ووقتئذ، تعالت أصوات الصّراخ. قال أحد خدم الخالق :

— سيدي، لقد داس هذا الحيوان الضخم حقلك كلّه خلال الليل، وضاع محصول الذّرة.

التفت الخالق ناحية الفيل، وقال :

— إنّ سلوكك هذا هو سبب ما جئت تشتكي منه. تخيّل لو أصبحت أنت وأقرانك كثيري العدد، فستُدمِّرون كل المحاصيل، ولن يبقى على الأرض شيءٌ يُأكل.

استأذن الفيل من الخالق ومضى مُطأطئ الرأس. ومنذ ذلك اليوم، بات يعلم بأن اللوم لا يقع إلا عليه هو، وهو فقط، في عدم قدرته على إنجاب أكثر من صغير واحد في المرة الواحدة.

الفهد وخُمّ الدّجاج



أحيانًا، يأبى الأقوياء الاستماع لرأيٍ آخر غير رأيهم، ولو كانوا على خطإ.

يُحكى أنه كان للفهد خمٌّ من الدجاج. وكان يدّخرهم حتى يأكلهم يوم تنقص الفرائس ويصعب الصيد. ذات يوم، طرأ طارئٌ دعاه إلى الذهاب في سفر. وعشية ارتحاله، قام بزيارة حيوانات السافانا، فعَهِد بثلاث دجاجات للفيل، وثلاثٍ للزرافة، واثنتين أُخريين للجاموس. واعتنى كلّ العناية بعدم تركها لأيٍّ من الحيوانات المفترسة، ذلك أنّه لم يكن يريد أن يجد دجاجاته ناقصة العدد عند عودته.

وعندما تدبّر الفهد أمْرَ كل الدجاجات، بقي الديك، فعَهِد به إلى الظبي مُشدِّدًا على أنّه لا يملك غيره، وأنّه يعوّل عليه للحفاظ على حياته. كان الظّبي شديد الخوف من الفهد إلى حدّ أنه كرّس جلّ وقته للسهر على سلامة الديك حتى هرب النوم من عيونه.

عند عودة الفهد، أحضر كلُّ حيوان الدّجاجات بكتاكيتها التي وُلدت في غيابه. كما أعاد الظّبي الديك، وكان الوحيد الذي لم يُرجع أكثر ممّا أُعطي له ؛ فسأله الفهد :

— أين الكتاكيت ؟

أجاب الظبي :

— الكتاكيت ؟ ولكنك تعلم جيّدًا بأن الديوك لا تبيض.

— فضلًا عن أنك تسرقني، أنت وقحٌ أيضًا ! ستنال عقابك.

وداس الفهد بقدمه على الظّبي المسكين الذي صار يرتعد خوفًا، وهَمّ بكسر عموده الفقري لولا أنْ لاح وحيد القرن في المكان، فناداه الظبي وترجّاه أن يُؤكّد للفهد بأنّ الدُّيوك لا تبيض، فردَّ قائلًا :

— لم أقابل في حياتي ديكًا في السافانا، ولا أعلم عن الدّيوك شيئًا.

عندئذ، برز الأرنب الّذي سمع كل شيء من جحره القريب. كان الظبي صديقًا له فأراد أن يساعده ؛ أخذ الأرنب في الصّراخ والتّظاهر بأنّه في قمّة هيجانه، فسأله الفهد :

— ما الّذي جرى ؟

— لقد أنجب ابنك ولدًا قبل قليل.

— أحمق، وأين رأيت الذكور يلِدون ؟ ردّ الفهد.

— إن كان ديكك يبيض، فلِمَ لا يلد ابنك ؟ قال الأرنب قبل أن يتسرّب إلى داخل جحره.

لم يعد للفهد المُغتاظ حُجّة ليتمسّك بموقفه، وأُجبر على تخليةِ سبيل الظّبي حيًا. ومع ذلك، لم يمهله إلّا أسابيع قليلة ثمّ افترسه.

أبو نسّاج[1] والملك والأعمى



الطيور تغرّد وتصفّر وتصيح وتصدح وتهدل. كما أنّ بعضها يتكلّم، والبعض الآخر يقلّد أصواتًا غريبة...

يُحكى أن رجلاً أراد أن يزرع بعض الذُّرة البيضاء[2]، ولكنه لم يكن يملك حقلًا. فقام، بمساعدة ابنه الشابِ، باستصلاح قطعة أرض، ثم فلحها وبذرها. بعد فترة، رَبَت الذّرة ونمت وبدأ عودها يشتدّ.

---

1. أبو نسّاج : طائر يعيش في إفريقيا الاستوائية، وسُمي أبا نساج لمهارته في نسج عشه المُعلّق. يمكننا أن نرى في السافانا أعشاش أبي نسّاج معلّقةً بجانب بعضها البعض على أغصان شجر السنط مُشكّلة مستعمرة حقيقية.

2. الذّرة البيضاء : بُقول تُزرع في مناطق السافانا.

ذات ظهيرة، نادى الرجل ابنه وقال له :

— اذهب إلى الحقل وانظر إن أينعت الذّرة وآن أوان قِطافها.

نفّذ الابن أمر أبيه، وعند وصوله إلى الحقل، رأى طائرًا من طيور أبي نساج ينقُب في الذّرة ؛ فأخذ يصفّق بيديه ويصرخ كي يُبعده. قطع الطائر وجبته وقال له :

— أغرب عن وجهي، إن لم تكن تريد أن تندم.

أجاب الصبي :

— إن هذا الحقل لوالدي، ولا يحقّ لك البقاء فيه.

عندها، فتح أبو نسّاج الهزيل منقاره الصغير، وأطلق من حنجرته الضئيلة زمجرة مخيفة. فولّى الصّبيّ المذعور مُدبِرًا ولم يعقّب.

ولما وصل إلى أبيه راح يشرح له ما حدث وهو يرتعد :

— لقد استولى طائرٌ على حقلنا.

— لا بدّ أنّه أضخم من الجاموس حتى جعلك في مثل هذه الحال.

— لا، فحجمه لا يتعدى حجم قبضة يدي، ولكنه يزأر كالأسد.

— أأنت متأكد من أنّه طائر ؟

— أجل، إنه طائر أبو نسّاج.

— أبو نسّاج لا يزأر.

— إنه لا يزأر فحسب، وإنّما يتكلّم أيضًا، أضاف الطفل.

— وماذا قال لك ؟

— بأنْ أغرُب عن وجهه وإلّا سأندم.

— مستحيل ! لا شكّ في أنّ ما رأيته كان هلوسات.

قال الطفل محتجًّا :

— إن كنت لا تصدّقني، فاذهب وانظر بنفسك.

— وهذا ما سأفعله غدًا صباحًا.

استيقظ الرّجل مع بزوغ فجر اليوم الموالي. وعندما وصل إلى الحقل رأى الطّائر الصغير، فالتقط حجرًا ورماه به. لمح أبو نسّاج القذيفة قادمةً نحوه، فقفز جانبًا ليتفاداها، وقال للرَّجل :

— لقد حاولت قتلي. إيّاك أن تُعاود الكَرّة وتقذفني بشيء، إن كنت لا تريد أن يصيبك الألم وتغرق في المعاناة.

ثم راح يزأر. فانتاب الرّجلَ الذُّهولُ وسرعان ما انطلق في الجري هاربًا، وإن هي إلّا لحظات حتى بلغ كوخه، ثمّ قصّ على زوجته ما حدث معه. فقالت له :

— أنت أيضًا تهذي بسبب الهلوسات.

— لا أبدًا. اذهبي إلى الحقل وسترين.

ولمّا ذهبت المرأة إلى هناك، اكتشفت صدق قول زوجها، وفرّت عند سماعها زئير الطائر. ولاحقًا، عزمت العائلة على التخلي للطائر عن محصول الذرة البيضاء تفاديًا لأيّ عقاب قد يلحقهم منه. وما أسرع ما حكت المرأة الثرثارة لجيرانها عن طائر أبي نسّاج، وذاعت الحكاية حتى بلغت أسماع الملك الذي قرّر الذّهاب إلى الحقل بنفسه. وحاول مستشاروه ثنيه عن عزمه مشيرين إلى الخطر الذي قد يحدق به، ولكنّه أصمّ أذنيه عن الإصغاء لهم وقال :

— لستم إلّا جبناء.

وفي الغد، دخل الملك إلى الحقل، ولمح العصفور، فاقترب منه وهو يبتسم بسبب حجمه الصغير.

بادره الطائر بالسؤال :

— من الذي سمح لك بأن تطأ هذا الحقل ؟

— أنا الملك، وأفعل ما يحلو لي.

— أنت ملكٌ على الناس، وليس على الحيوانات.

— اصمُت، وإلاّ سآمر باصطيادك ووضعك في قفص.

انفجر الطائر ضاحكًا، وأطلق عدّة زمجرات ارتعدت لها السافانا بأسرها. وعاد الملك إلى قصره وقد عقد العزم على بذل كل ما في وسعه لاصطياد أبي نسّاج ؛ فجمع مستشاريه، وأعلن لهم :

— أعرض نصف ثروتي لمن يُحضر لي طائر أبي نسّاج الذي يزأر.

وشاع الخبر سريعًا، ولكن لا أحد ترشّح لهذه المهمة ؛ إذ خشي الناس أن يتحوّل أبو نسّاج إلى أسد يفترسهم. بعد فترة، تقدّم إلى القصر الشخص الوحيد الذي تجرّأ على القيام بهذه المغامرة، وكان شيخًا أعمى، فسخر منه المستشارون وهمُّوا بطرده لولا أن تدخل الملك مخاطبًا الشيخ :

— لا أحد غيرك ترشّح لهذه المهمة. إنّي أهنّئك على شجاعتك وأتمنى لك التوفيق والنجاح.

قاد الفلّاحُ الشيخَ الأعمى حتّى مشارف حقله، وهناك، قال الشيخ :

— شكرًا لك، والآن ابتعد وعُد إليّ بعد برهة من الزمن.

فانصرف الفلّاح، وشرع الشيخ في الصّراخ.

— أيها الطائر، يا أيها الطائر !

— من تكون ؟

– إنّني شيخ ضرير، وسمعي ثقيل. فهل لك أن تقترب منّي قليلاً.

اقترب طائر أبو نسّاج قليلًا فيما تقدّم الأعمى بضع خطوات. سأله الطائر :

– ماذا تريد مني ؟

– أريد أن أتحدث معك.

– التحدث معي ؟

– أجل، ولكن اقترب أكثر، فلا خطر منّي عليك.

– ها أنا ذا بقربك تمامًا !

مدّ الأعمى يده وأمسك بالطائر، ثم عاد إلى قصر الملك بإرشادٍ من صاحب الحقل. وُضع الطائر في القفص وقُدّم له الطعام، ولكنه، وخلال بضعة أيام، لم يتكلم أو يزأر قَطّ ؛ وعندها قال الملك للأعمى :

– لقد استهزأت بي، فهذا الطائر أخرس. ليس هذا ما كان مطلوبًا منك جَلبه.

– ولكنه هو يا جلالة الملك، وما عليك إلّا الانتظار ريثما يقرّر الكلام.

اعتنى الملك بالطائر، وكان يكلّمه ويُلاطفه ويُثيره ولكن دون جدوى، فهدّده بحرمانه من الأكل. ونفذ تهديداته بالفعل

في مرتين أو ثلاث. ولكن أبا نسّاج أخلد إلى الصمت طوال أسابيع عديدة. وذات صباح، بينما كان الملك وحيدًا مع الطائر، قرّر إطلاق سراحه وفتح له القفص، وأخذ يتتبّعه بناظريه وهو يطير ثم يحطّ على غصن شجرة قابوق قريبة.

— أنا هو الطائر ذاته الذي كنت تريد امتلاكه، قال أبو نسّاج من على الغصن الرابض فوقه، قبل أن يُطلق زأرة حبور وسرور.

وبما أنّ لا أحد رأى هذا المشهد، استمر الملك في التأكيد على أنّ ما جاء به الأعمى لم يكن الطائر المطلوب. وهكذا تفادى منحه نصف ثروته، ولكنه أعطاه ما يكفيه لتشييد منزل كبير. أمّا طائر أبو نسّاج فقد فضّل الانتقال للعيش في مكان آخر، وانتهت مُعاناة صاحب الحقل بنهاية وجوده.

طائر الكالاو والعنكبوت



لماذا يعتمر طائر الكالاو[1] خوذة على رأسه ؟

القمر الدّائري يسبح خلال بحر الليل الحالك. والابتهالات اللّجوجة المُنبعثة من آلات « الطام طام » تحملها النسمات لتمتزج برُغاء الضّباع. وأصوات زئير الأسود تردّ على النحيم المديد للفِيَلة فتهزّ أركان السافانا. في خضم هذا كله، هاهو

1. الكالاو : طائر يتميز بمنقار ضخم تعلوه خوذة. ويتغذى الكالاو الأرضي الكبير، بعكس الأنواع الأخرى من بني جنسه، على اللّحوم. يعيش الكالاو في سرب يضمُّ عشرة أفراد يجوبون مناطق السافانا بحثاً عن الحيوانات الصغيرة.

طائر الكالاو الرّابض على شجرة « القابوق » يتحدّث إلى العنكبوت بصوت خافت. لقد كانا صديقين، ودائمًا يلتقيان بعد غروب الشمس للتّسامر مُستمتعَيْن بطراوة الجوّ ليلًا. في تلك الأمسية، عرض العصفور على صديقه العنكبوت أمرًا، فقال :

— لقد بلغنا سنّ الزواج، وأعرف مكانًا يُمكننا أن نعثر فيه على الأنثيين المناسبتين لنا. فليس من الجيّد أن نبقى عزّابا لفترة طويلة. هيا بنا ننطلق غدًا إلى هناك.

أجاب العنكبوت :

— لا يمكننا الرحيل هكذا بين ليلة وضحاها.

— لا مانع من التمهّل لبعض الأيام من أجل تهيئة أنفسنا.

— سأفكّر في اقتراحك.

لم يكن للعنكبوت رغبة كبيرة في الزّواج. وكُلّما فتح معه طائر الكالاو سيرة السفر من جديد إلّا وجد ذريعةً لتأجيل موعد الرحيل. ولكن الطائر كان لحوحًا جِدًّا، ما جعل صديقه يمتثل لرغبته أخيرًا. ولكنه قال :

— إذا أردتني أن أرافقك، فعليك أن تتكفّل بحمل أمتعتي لأنّ قُوايَ الضعيفة لا تطيق ذلك.

— أنا موافق، قال الكالاو.

واتّفق الصديقان على الرحيل بعد بضعة أيام. لكنّ العنكبوت سرعان ما ندم على قبوله بالعرض ؛ إذ رأى أنه لا يزال فتيًّا جِدًّا على اتّخاذ زوجة، فضلًا عن أنّ العُرف يمنعه من اختيار واحدة دون أن يتحدث مسبقًا مع أقاربها بهذا الشأن. وألقى باللّوم على الطّائر الذي أجبره على فعل ما لا يريد. وبما أنه لم يكن يجرأ أن يعترف للطائر بموقفه الجديد وكذا عدم رغبته في الرحيل، راودته فكرة مُفاجئة، وهي أن يقصد أحد المشعوذين[1] كي يحضّر له سحرًا من نوع « غري غري[2] » يُسبّب الضّرر لطائر الكالاو.

أخفى العنكبوت الغري غري بين متاعه الذي سيحمله الطائر عند مغادرتهما. ويومها، بعد أن وضع الطائر أمتعةَ العنكبوت وأمتعته فوق رأسه، حلّق عاليًا، بينما تظاهر العنكبوت باللحاق به. وحينما وصل طائر الكالاو إلى المكان المقصود، انتظر قدوم العنكبوت، ولمّا تأخر قرّر إنزال حمولته على الأرض. ولكن، عبثًا حاول. على الرغم من كل الجهود التي بذلها، لم يتمكن من التخلص من الأمتعة ؛

1. مشعوذ : الساحر في الأديان الإفريقية التقليدية.

2. الغري غري : تعويذة شائعة بين الشعوب الإفريقية السوداء التي تعتقد بأنها ذات مفعول سحري، ولها القدرة على الإفشاء وجلب السعادة أو الضرر.

وعندئذ عاد أدراجه بحثًا عن العنكبوت فما عثر له على أثر. وظلّت الأمتعةُ مثبّتةً على رأس طائر الكالاو، وفي آخر المطاف تحوّلت إلى خوذة. ومُذّاك، صار جميع ذرّيته يحملون واحدةً مثلها.

القرد والفهد وفرس النّهر



إذا كان الصّبر مُرًّا فعاقبته حلوة.

يُحكى أنّه كان للقرد ثلاثة أبناء يفتخر بهم أيّما افتخار. وفي يوم من الأيام، قام الفهد بالتهامهم ؛ فحزن لمصابه حُزنًا عميقًا وأقسم جَهد أيْمانه على الانتقام. غير أنّ الفهد كان شديد الاحتراس من القرد ودائمًا ما أفلح في تلافي اللقاء به حينما يتنقّل في حقول السافانا، فلم يكن للقرد إلّا الاعتصام بحبل الصبر. وانقضت شهور عدّة دون أن تأتيه أدنى فرصة لتحقيق مُبتغاه.

ذات يوم، حانت هذه الفرصة أخيرًا : كان القرد يصطاد على حواف النهر، وقد تمكّن من الإمساك ببعضٍ من سمك الجِرّيّ[1] ووضعَه غير بعيد على الضفة. يومها كان الجوّ قائظاً فاقترب الفهد من النهر لإطفاء عطشه، وبدا أنّه قد نسي فعلته الشنيعة بعد أن انقضى وقت طويل عليها. أمّا القرد فلم يزل عازمًا على الأخذ بثأره. وعلى جناح السرعة، لفّ الخيط الذي كان يستعمله للصيد وأخفاه. عندئذ، سأله الفهد :

— ما الذي تفعله هنا ؟

— أصطاد.

— إذن، أنت من أمسك بهذه الأسماك ؟

— أجل.

— وكيف فعلت ذلك ؟

— الأمر بسيط : أغطس ذيلي في الماء وأنتظر، وما إن تلتقمه السمكة حتّى أسحبه، وهكذا أمسكها.

— أريد أن أفعل مثلك.

— لا شكّ في أنّك ستصطاد سمكاتٍ أجمل لأن ذيلك أكبر. اغطسه جيّدًا في الماء، قال القرد.

1. الجِرّيّ : سمكة تعيش في المياه العذبة، يوجد حول فمها ست شعيرات.

جلس الفهد وظهره للنهر ثم غمس ذيله فيه. وإنْ هي إلّا لحظات حتّى أمسك به فرس النهر الذي كان صديقًا للقرد، فأحس الفهد أنّ أحدًا ما يسحبه من الخلف. بدأ يُقاوم ويتشبّث بمخالبه في الضفّة، ثم صرخ مُخاطبًا القرد :

— النّجدة، ساعدني.

— هل تذكر صغاري الثلاثة ؟ أجاب القرد وراح يعضّ أقدام الفهد ليُجبره على إفلات قبضته. وهكذا سحب فرس النهر الفهد إلى أعماق النهر حيث لقي حتفه غرقًا. وبعدها، أعاد القرد بسط خيط صنارته وهو سعيد لأخذه بثأر أبنائه، ثم ألقاه في الماء وواصل صيده.

النّسّاج وثعبان البواء



في حكايتنا هذه، لم يفكّر النّسّاج يومًا أنّه سيمارس الصّيد، فقد كان مُنشغلًا تمام الانشغال في مزاولة مهنته، ولكن عندما اضطرّته الظروف لفعل ذلك، هبّت الحيوانات إلى مساعدته.

يُروى أن نسّاجًا خُطفت زوجته الشّابة من طرف ثعبان ضخم من نوع ثعابين البواء. وكان هذا الوحش قد اعتاد خطف الفتيات المتزوجات حديثًا، بحيث يسجنهنّ عنده فترة أسبوع ثم يلتهمهنّ. وما من أحد استطاع القضاء عليه ؛ ذلك أنه كُلّما قُطع له رأسٌ ينمو في مكانه رأس آخر.

جاء كبار القرية إلى النسّاج وقالوا له :

— لن يُجديك الأمل، لأنك لن ترى زوجتك مجدّدًا.

كان النسّاج شجاعًا ويكنّ لزوجته حبًّا كبيرًا، فرفض الاعتراف بالهزيمة. ثم انطلق في البحث عن ثعبان البواء مُتسلّحًا برمحه. كان يعلم أنه لا يملك إلّا أيّامًا معدودات لإنقاذ زوجته. وجاب السافانا طيلة اليوم دون أن يعرف للراحة سبيلًا، كما سار طوال الليل مُهتديًا بضوء القمر الذي كان بدرًا. ولكنه لم يعثر للوحش على أثر. في اليوم الثالث، وبينما كانت الشمس تحلّق في كبد السماء، جلس أسفل شجرة من أشجار الباوباب ليأخذ قسطًا من الرّاحة، وما كاد يأخذ غفوةً حتّى أيقظه شيء ما سقط على رأسه. كانت نملة كبيرةً من النمل الأبيض حجمها بحجم الأصبع الصغير. التقطها ثم ذاقها فوجدها لذيذة الطعم. وسرعان ما سقطت من الشجرة نملة أخرى فأكلها. وقتئذ، رفع ناظريه فلمح جنّي الغابات الأوكولو[1] جالسًا على أحد أغصان الباوباب. ألقى النّسّاج عليه التحية ونزل الجنّيّ إليه. كان الجني ذا لحية طويلة مُمسكًا بيده قشرة ثمرة من أثمار شجرة الباوباب مُجوّفةً على شكل وعاء، وقال له :

— يبدو أنّك تحب طعم النمل الأبيض.

---

1. الأوكولو : جنّيٌّ قزم بلغة البومبارا.

— أجل، خاصة وأنه لم يدخل في جوفي طعامٌ منذ عدة أيام.

مدّ الأوكولو الوعاء إلى النسّاج، وكان مليئًا بالنمل الأبيض، فأكل منه النسّاج واستطاب، ثم شرح له كيف أنه يسعى في البحث عن زوجته الشابّة التي اختطفها ثعبان « بواء » ضخم. فقال الجنّيّ :

— أعرف مكان جحر هذا الوحش.

— هل لك أن تقودني إليه ؟

— ليس لدي وقت.

ألحّ النسّاج عليه :

— على الأقل أخبرني أين أجده.

— إن كنت تريد التخلص من هذا الثعبان فعليك أن تعرف أوّلًا المكان الذي يُخبّئ فيه روحه.

— ومن يستطيع أن يدلّني عليه ؟

قال الجنّيّ :

— أنا الوحيد الذي بإمكانه فعل ذلك.

— ساعدني، وسأهديك ثوبًا رائعًا من ثياب « البوبو ».

لكن « الأوكولو » اشترط مئة ثوبِ « بوبو » ثمنًا لإفشاء السر. وبعد مساومات عسيرة، أقنعه النسّاج بعشرة أثواب فقط. فركض إلى كوخه وجلب إليه البضاعة. ثم قال الجنّيّ :

— على مسافة يومين من هنا، في اتجاه مشرق الشمس، ستجد صخورًا ضخمة يسكن في سفحها الوحش الذي تبحث عنه. وعلى مقربةٍ منها، يعيش ملك الجواميس الذي يحوي في بطنه غزالًا، وداخل جوف الغزال توجد حجلةٌ، في بيضتها تكمن روح ثعبان البواء. يجب عليك كسر هذه البيضة، وبعدها تتمرّغ ذبابةٌ في مُخّها ثمّ تحطّ الذبابة على الوحش فيموت فورًا.

مع حلول فجر اليوم الموالي، انطلق النسّاج في مهمته. وخلال الطريق صادف أسدًا زأر في وجهه مكشّرًا عن أنيابه، ولكن النسّاج لم يتوجّس منه خوفًا، فقال له الحيوان الأصهب :

— أنت أول شخص أُقابله ولا يخشى أنيابي. أريد أن أعرف السبب في ذلك.

— ببساطة، لأنني ذاهبٌ لأهاجم من هو أقوى منك بكثير.

سأله الأسد :

— هل أستطيع مرافقتك.

وافق النسّاج، وانطلقا يسيران جنبًا إلى جنب. وبعد وقت يسير، وثب فهدٌ على النسّاج مشهرًا مخالبه في وجهه، ولكنّ النسّاج دفعها عنه بعنف ؛ فسأله الحيوان السّنوري :

— لماذا لم ترتعب مني ؟

— لأنني سأواجه من هو أشدّ منك قوة.

— لديّ رغبة عارمة في مصاحبتك.

— على الرحب والسعة.

انضمّ الفهد للنسّاج والأسد. وبعدما اجتازوا منطقةً شاسعةً تعمرها الحشائش الطويلة، انقضّ عُقابٌ[1] على النسّاج مُمزّقًا له إحدى أذنيه ببراثنه. فبادره النسّاج :

— إنّك لم تُؤثّر فيّ قيد أُنمُلة، فأنا أتهيّأ لمصارعة من هو مُرعبٌ أكثر منك.

وطلب الطائر الكاسر أن يرافقه أيضًا، وأجاب النسّاج طلبه بالقبول. وفي مكان أبعد، صارت الطريق وعرة، وتعثّر النسّاج على حجرٍ فجُرحت قدمه، ولكنه استمر يمشي دون أن يأبه لجرحه ؛ فصاح الحجر فيه :

— إنك أوّل شخص أصيبه ولا يتوقف لمعالجة قدمه. هل لك أن تأخذني معك ؟

عاد النسّاج على أعقابه وانحنى، ثم التقط الحجر ووضعه في جيبه وواصل سعيه. وبعد مسيرة نصف يوم فقط، لمح الرجل الصخور التي تحدّث عنها « الأوكولو ». لكن هذا

1. العُقاب : طير جارح لا يخرج إلا في النّهار، حجمه ضخم ومنقاره معقوف، ولا شعر يكسو رأسه وعنقه. ويقتات من الجِيَفْ.

لا يعني أنّ تقديرات الجنّيّ لم تكن صائبة، فقياسًا لخطوات القزم القصيرة، كان هذا الأخير سيستغرق ضعف هذا الوقت لقطع نفس هذه المسافة. دخلت ذبابةٌ بغتةً في أحد خياشيم النّسّاج ثم خرجت من فمه دون أن يعطس أو يسعل ؛ فدُهشت الحشرة وسألته :

— كيف أمكن حدوث هذا ؟

فردّ الرجل :

— ربّما لأنني مُقبلٌ على القيام بمهمّة شديدة الخطر والإفزاع.

وطلبت الذبابة مرافقته أيضًا، فوافق على ذلك قبل أن يتوجه إلى رفاق دربه مُخاطبًا :

— أسفل تلك الصخور التي نراها هناك (قالها وهو يشير بأصبعه إليها)، يعيش ثعبان بواء ضخم قام باختطاف زوجتي. وللوصول إليه أحتاج إلى عونكم، فهل تقبلون مساعدتي ؟

أجابه الجميع بالإيجاب، ثم لحقوا به وهو ينطلق في اتجاه جاموس كبير قدّر بأنه الجاموس ذاته الذي حدّثه بشأنه « الأوكولو »، وأشار إلى الأسد الذي قفز على الحيوان وأرداه قتيلًا، وشقّ النّسّاج بطنه فبرز من داخله غزالٌ لقيَ حتفه

هو الآخر تحت مخالب الفهد. وبَقَرَ النّسّاج بطنه هو كذلك، فخرجت منه حجلة وحلقت عاليًا؛ فطلب النّسّاج من العُقاب أن يحضرها له حيّة. فاندفع الطائر الجارح مُنقضًّا على الحجلة وأمسكها ببراثنه، ثم جلبها من دون أن يمسّها بسوء. وما إن استقرت بين يدي النسّاج حتى باضت بيضةً. أمسك النسّاج البيضة ووضعها على الأرض قبل أن يُفلت الحجر فوقها، فتهشّمت قشرتها وتناثر محتواها. وقتئذ، قال الرجل للذبابة:

— كل شيء يعتمد عليكِ الآن، يجب أن تتمرّغي داخل مُحّ البيضة قبل أن تذهبي وتحطّي على ثعبان البواء.

وسرعان ما نفّذت الذّبابة مهمّتها. فأخذ الثعبان في إطلاق حشرجات طويلة، ثم ساد الصّمت المُطبق. سارع النّسّاج إلى داخل جحر الثعبان وتأكّد من موته. وهناك، ارتمت الزوجة سالمةً معافاة بين أحضان زوجها ثم خرجا. شكر الرجل مرافقيه بجزالة وحرارة، وقطع لهم وعدًا بأن يسعى لمساعدتهم إذا دعت الحاجة إلى ذلك. ثم قفل راجعًا إلى بلدته بصحبة زوجته. وحالما وصل، عمّ الذُهولُ الجميعَ، وأدركوا بأنه قد أفلح في القضاء على الوحش. وشُكرًا له على هذا الإنجاز، أقام زعيم البلدة على شرفه احتفالًا ضخمًا حيث تهاطلت عليه الهدايا.

العنكبوت واليمامة



لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

يُحكى أن عنكبوتًا قرّرت أن تتّخذ لها شريكةً. ووقع اختيارها على اليمامة بسبب حُمقها الشديد، حسبما اعتقدت، وحدّثت نفسها قائلةً : « هكذا أستطيع الاحتيال عليها بسهولة ».

ذات صباح، خرجت العنكبوت واليمامة في ساعة مُبكّرة قاصدتين ضفة النهر للصيد. كان المكان يعجّ بالأسماك، فألقيتا شباكهما في المياه وملأتا سلّة كاملة بالسمك.

قالت اليمامة :

— أقترح أن تأخذي أنت هذه السلّة اليوم، وفي الغد، سنصطاد كمية أكبر وسآخذ أنا سلّتين.

رفضت العنكبوت مُفضّلةً أن تأخذ السلّتين في الغد، وهكذا أخذت العصفورة السلّة. وفي اليوم الثاني، عادتا إلى نفس المكان وعبّأتا سلتين بالسمك.

سألت العصفورةُ العنكبوت :

— هل ترغبين في أخذ هاتين السّلّتين اليوم، أم تفضّلين السّلّات الثلاث التي سنملؤها في الغد ؟

قالت العنكبوت متعجّبةً :

— إنّك تعلمين علم اليقين بأنني أنا من يبذل الجهد الأكبر، وبالتالي أستحقّ أخذ السّلّات الثلاث الملأى بالسمك.

وهكذا، أخذت اليمامة السّلّتين. وفي اليوم الثالث، كانت حصيلتهما ثلاث سلّات من السمك. فقالت اليمامة :

— لقد بدأت أضجر من الصيد، وقرّرت التوقف عن ممارسته. خذي سلّات السمك الثلاث هذه، وأنا سأحتفظ بالشِّباك ؛ سأبيعها وبثمنها أقتني بعض الحليّ.

مرّة أخرى، تركت العنكبوت لليمامة السّلّات الثلاث، وقالت :

— أُفضّل أخذ الحليّ.

— كما تشائين، ردّت اليمامة. ثم حلّقت بعيدًا وهي تحمل ثلاث سلّات مُعبأة بالسمك، بينما أخفقت العنكبوت في إيجاد مشترٍ لشباكها في كل السفانا.

فمَن هي الحمقاء بين الاثنتين يا تُرى ؟

إحتفال الحيوانات



قد تدعونا الحاجة أحيانًا لطلب المساعدة
ممّن هم أقلّ منّا حجمًا وقوّة.

يُحكى أنّ حيوانات السافانا قرّرت تقليد البشر. وكما يفعل الإنسان، عزموا على تنظيم حفلٍ بمناسبة حلول موسم الحصاد، وأن يكون طعامهم الرئيسي خُضر اليام[1] وهو نوع من البطاطس حلوة المذاق. ولكن لم يكن بينهم أحد يمتهن

1. خُضَر « اليام » : درنات كبيرة تُأكل مهروسة أو مقلية أو في شكل فطيرة مطهيّة.

الفلاحة أو يملك حقلًا ؛ فاتّفق الجميع على أن يتدبّروا بعضها من حقول البشر. ورغم أن عددًا من الحيوانات أبدوا تحفظهم في هذا الأمر، إلّا أنّهم انضمّوا في الأخير إلى رأي الأغلبية ؛ إذ رأى الجميع ألّا حرج في أخذ مؤونتهم من حقولٍ ليست لهم. أليس البشر هم من اقترفوا في حقهم الكثير من الأعمال الهمجية ؟ ألم يقتلوا الكثير من الحيوانات ويشوونها ويأكلونها ؟ إنّ سلبهم بعض خُضر « اليام » لن يمثّل إلّا انتقامًا بسيطًا جِدًّا إذا ما قورن بالظلم الذي تتعرض له أمّة الحيوانات باستمرار من قِبَل البشر.

وذات ليلة قمراء، قصدت الحيوانات عددًا من الحقول، وجلبت كمية كبيرة من خُضَر « اليام »، ثم حملتها إلى مكان بعيد وأخفتها. وفي اليوم الموالي، جمعوا بعض الحطب الجاف وأحضروا قِدرًا ضخمًا، وما كان ينقصهم إلّا الماء للبدء في طهي الخُضَر. وهكذا عُهِد إلى الحمار الوحشي بأن يذهب إلى النهر ويجلب بعض الماء، فأُعطي عدّة أواني مصنوعة من القرع[1]، ثم مضى نحو بحيرة قريبة. وما إن صار على مقربة من الماء حتى سمع صوتًا يقول :

1. آنية القرع : ثمرة القرع تقطّع إلى نصفين وتفرّغ من محتواها وتُجفّف، ويُستعمل نصف ثمرة القرع هذا كإناء.

– يمكنك أن تشرب في ذات المكان، ولكنك إن حملت قطرة واحدة من الماء، فسأكسر عنقك.

توقف الحمار الوحشي مُندهشًا وجعل ينظر من حوله لعلّه يرى من يتحدّث معه، لكنه لم يلمح أحدًا. ثمّ واصل تقدّمه نحو الماء وتظاهر بملء أوانيه، ووقتئذ هدّده الصوت ثانيةً ؛ فهرب الحمار الوحشي مرعوبًا مُخلّفًا وراءه أواني القرع. وعند عودته، سألته الحيوانات :

– أين الماء الذي كُلّفت بجلبه ؟

فشرح لهم ما حدث قائلًا :

– لقد تلقيت من أحدهم تهديدًا بالقتل إنْ أنا أخذت الماء من البحيرة، فأُجبرت على الانسحاب.

تطوّع الجاموس ليحلّ محلّ الحمار الوحشي وكلّه تصميمٌ على إنجاز المهمّة التي عجز الآخر عن تنفيذها بأكمل وجه. وعندما وصل قرب البحيرة رأى أواني القرع فالتقطها. وسرعان ما دوّى الصوت مرّة أخرى :

– يمكنك أن تشرب ما تشاء من ماء في عين المكان، ولكن، إنَ أخذت قطرة واحدة، كسرت قوائمك الأربع.

رمى الجاموس أواني القرع على التراب الأحمر وجعل ينظر من حوله وينفخ من مناخيره بصخب ؛ كان في أهبة

الاستعداد لمواجهة هذا الذي تجرّأ على تهديده، ولكنه لا يرى أحدًا. أعاد حمل أواني القرع، وتقدم بضع خطوات من الماء وراح يشرب لفترة طويلة. ولمّا همّ بتعبئة الأواني، وجّه له الصوت تهديدًا أشدّ. تراجع الجاموس للخلف وألقى نظرة حوله، ثم انعطف فجأة وفرّ تاركًا الأواني. فقابلته الحيوانات هو أيضًا باللّوم قائلةً :

— لَم تحضر الماء !

أجاب :

— لقد هدّد أحدهم بكسر أرجلي إنْ حملت معي قطرة واحدة من الماء، وما كان لي إلّا النفاذ بجلدي.

وبعد ذلك، جاء الدور على الأسد ثم وحيد القرن للذهاب إلى البحيرة. ولم تكن نتيجتهما بأفضل ممّا حقّقه الآخرون. وحينها، طُلب من الفيل إن كان يقبل الذهاب لجلب الماء. لقد كانت له القوة والجسارة والضخامة ما يخوّله القضاء بسهولة على أيّ أحد قد يجرأ على تهديده. مضى الفيل إلى البحيرة، واستردّ أواني القرع، ثم اقترب من الماء. عندها، انطلق الصوت مُجدّدًا يقول :

— في وسعك شرب كل الماء الذي تريد، ولكنك لو تحمل قطرة واحدة فسأحوّلك إلى فُتات.

استشاط الفيل غضبًا وأصدر نحيمًا طويلًا. التفّ حول نفسه عدة مرّات وهو يجول ببصره في المكان. وعندما لم يلمح أحدًا، أغطس خرطومه في البحيرة ثم شفط بعض الماء وهمّ بملء الأواني. من جديد، أطلق الصوت تهديده، وكانت شدّته من القوّة أنْ جعلت كل الحيوانات في السفانا ترتجف عند سماعه. وعلى الفور، أفرغ الحيوان ذو الجلد السميك خرطومه وولّى هاربًا. وحاول أن يبرّر فعلته أمام الحيوانات الأخرى، وقد اعتراه الغيظ والخجل، فقال :

— لقد هدّدني جنّي يعيش في قاع البحيرة، يجب أن نبعث أحدًا في وسعه الغوص تحت الماء كي يبحث عنه.

كُلّف التمساح الذي عادةً ما يعيش في النهر باستكشاف البحيرة، فغطس في الماء وأخذ يسأل مَنْ يُقابله من الأسماك عن الجنّي، فكانت الأسماك تجيبه :

— لا يوجد جنّي هنا.

— ولكن من الذي هدّد أولئك الذين جاءوا طلبًا للماء ؟

— إنّها جرادةٌ بسيطة عزمت على أن تحافظ على البحيرة.

سأل التمساح :

— وأين يمكنني أن أجدها ؟

— على شجرة « القابوق » الوحيدة الموجودة بمحاذاة البحيرة.

شكر التمساح الأسماك، وعاد إلى الضفة مُتوجّهًا نحو الشجرة التي دلّته الأسماك عليها. وخاطب الحشرة المُختبئة في تجويفها قائلًا :

— علمتُ بأنّكِ أنتِ من قام بتهديد جميع من جاء لأخذ الماء.

ردّت الجرادة :

— أنا لا أرغب في شيء غير تفادي استنزاف مياه البحيرة.

قال التمساح :

— أُقدّر لك صنيعك، ذلك أنّي أعيش في المياه. وإنني أعرض عليك صداقتي وأدعوك إلى مرافقتي إلى الاحتفال الكبير.

قبلت الجرادة الدّعوة. وملأ التمساح أواني القرع بالماء الذي سكبه في القِدر، وقد اضطُرّ إلى القيام بعدّة مشاوير ذهابًا وإيابًا بين البحيرة ومكان القدر كي يعبّئه عن آخره. ولمّا أتّم عمله حيّته الحيوانات، وأمطرته بوابل من الأسئلة عن كيفية تمكّنه من تحقيق ما فشل الآخرون فيه، بَيْد أنه أخلد إلى الصمت وهو يوزّع ابتساماته على الجميع بتواضع، مما أغاظ أولئك الذين أخفقوا في مهمة جلب الماء.

تمّ طهي خُضَر « اليام » وبدأت الحفلة، فقُدّم الطعام للفيل أوّلًا فالأسد فالجاموس، ثم وحيد القرن والحمار الوحشي.

وبعدها جاء الدّور على العديد من الحيوانات، حتّى أنّ منها من لم يتطوّع للذهاب إلى البحيرة. ولمّا أراد التمساح أن يأكل، طُلب منه التريّث، وبدا كما لو أنّهم تناسوا فضله في جلب الماء ؛ فالتمس التمساح من الجرادة أن تتدخل، وقد غمره الغيظ بسبب مُعاملتهم السيّئة له، وكانت الحشرة حينها جالسةً على رأسه تتفرّج على ما كان يحدث في غير إعجاب، فأصدرت صريرًا قويًّا، وعندئذ تعرّفت الحيوانات إلى صوتها وانتشر الهلع بينهم وتفرّقوا هاربين في كل صوب وحدب. وما إن فرّ الجميع حتى قفز التمساح والجرادة على خُضار « اليام » يأكلان منها بنهم إلى أن كادا يموتان من التخمة.

الفهد المُرَقَّط وغزال المَها



روح الدّعابة، كما الحيلة، تتيح
لصاحبها الإفلات من قبضة المفترسين.

رابضًا فوق إحدى أشجار السّنط، كان النمر المُرقّط يُمشّط ببصره حقول السافانا. وفجأة، لمح غزالًا من غزلان المها يقترب. نطّ من مربضه وتوارى بين الحشائش الطويلة، وإنْ هي إلّا لحظات حتى التقى الحيوانان وجهًا لوجه. فسأل الفهدُ الغزال :

— ماذا تفعل في منطقتي ؟

ردّ المها :

— الأمر بسيط، لقد جئت بحثًا عنك كي تفترسني.

اكتشف الفهد المرقّط أنّ للمها روح دعابة، ولم يقم بمهاجمته، ذلك أنّه كان قد فرغ لتوّه من تناول وجبة شهية، ثم قال له :

— سآكلك، إلّا إذا أخبرتني عن حقيقتين صحيحتين.

أجاب الغزال توًّا :

— الأولى أنّك لا تحسّ بالجوع الشديد، ولولا ذلك ما كنت لِتتردّد في أكلي فورًا.

— صحيح.

— الثانية أن لا أحد سيصدّقني حينما أقول بأنّني قابلتك ولم تلتهمني.

— وهذا أيضًا صحيح، قال الفهد المرقَّط معترفاً.

هكذا تمكّن غزال المها من النجاة وانصرف سليمًا مُعافى.

الفتاة الصّغيرة ومَلِك النّهر



يؤدّي الاستهزاء بالآخرين أحيانًا إلى عواقب وخيمة. هذا هو الدّرس القاسي الّذي لُقّن لزوجة الأب في هذه القصّة.

يُروى أن رجُلًا توفيت زوجته، فاستمر مدّة عام في تربية ابنته والعناية بها وحيدًا، ثم تزوّج ثانيةً. كانت زوّجته الثانية في غاية القسوة مع الطفلة، واعتادت على ضربها دون سبب أو مبرّر.

ذات يوم، أمرت الزوجةُ الطفلةَ أن تذهب للنهر وتغسل المدقّ الضخم الذي استعملته بالأمس في هرس الذّرة البيضاء. ولم تتأخر الفتاة الصغيرة في تنفيذ الأمر. وخلال الطريق، كانت تبكي خوفًا من الحيوانات المفترسة التي قد

تُصادفها في السافانا. ولكن، لم يكن بيدها الخيار، فواصلت سيرها خشيةَ أنْ تُضرب إنْ هي لم تُطع الأوامر.

حالما بلغت الطفلة ضفّة النهر، أغطست المدقّ في المياه. وسرعان ما برز لها تمساحٌ عظيم. كان فمه ضخمًا وأسنانه حادّة وعيناه كبيرتين جاحظتين من رأسه ؛ فذُعرت الفتاة عند رؤيته ذعرًا شديدًا جعلها تُفلت المدقّ من يدها واختفى في قعر النهر. عندها بادرها التمساح بالقول :

— ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

غمغمت الفتاة :

— جئت لأغسل مدقًّا.

— أين هو ؟ فأنا لا أراه !

— لقد أفلت من يدي حينما رأيتك وغرق في الماء.

— لا تخافي شيئًا، فأنا لا أريد بكِ سوءًا.

— أرجوكَ إذَن أن تجلب لي مدقّي.

— إذا أجبتني عن سؤالي سأغوص وأحضره لكِ.

— أنا في الاستماع.

— تصوّري أنّ نعامةً جاءت تشرب هنا بالأمس، وكنت أترصّد أيّ طريدة لأقتنصها، ذلك أنني كنت أتضوّر جوعًا، فوثبتُ عليها وطوّقتها بأحد أقدامي، وعندما هَممتُ بسحبها نادتني قائلةً : « أفلتني يا أخي الكبير ! »، فتركتها

وشأنها وأنا في غاية الاندهاش من ندائها إيّاي هكذا. وبعد ساعات معدودات، اقتنصتُ طائرًا من طيور الغرنوق[1]، وصاح هو كذلك : « أفلتني يا أخي الكبير ! » فحرّرته أيضًا. هل صحيح بأنني أخٌ للنعامة وطائر الغرنوق ؟

انفجرت الفتاة الصغيرة ضاحكةً، وأجابت :

— الأمر ليس هكذا بالضبط، ولكن، ثمّة وجهٌ للشبه يجمعهما معك. فَهُمَا، مثل التمساح، يفقسان من البيضة.

— لم أفكّر في هذا.

قالت الفتاة على سبيل الخلاصة :

— إن لم تكن أخاهما، فأنت، على نحوٍ ما، من أقربائهما.

غطس التمساح في النهر. وبعد لحظات قليلة ظهر مجدّدًا وهو يُمسك بفمه مدقًّا مُرصّعًا بالذهب والماس وأعطاه للفتاة الصغيرة. فهتفت في إعجاب :

— إنه أجمل بكثير من ذاك الذي أضعتُه.

— أنا سعيد لأنّه أعجبك.

شكرت الفتاة التمساح وانصرفت. ولمّا عادت إلى المنزل، سلّمت المدقّ لزوجة أبيها. قالت لها وقد صعقتها الدهشة :

---

1. الغرنوق : من الطيور المهاجرة ذات السيقان الطويلة التي تعيش في الأوساط المائية. ويُطلق الغرنوق عدة أصوات وهي الطقطقة، والزعيق والزمر.

— من أين جئتِ بهذا ؟

— إنّه هديّة من التمساح بدلًا عن المدقّ الآخر الذي غرق في قاع النهر.

قالت زوجة الأب :

— يجب أن أنال واحدًا مثله. أخبريني كيف حصلتِ على مدقّك.

— لقد أجبته عن السؤال الذي طرحه عليّ فحسب.

— وماذا سألكِ ؟

— أراد أن يعرف لماذا نادته بعض الحيوانات « أخي الكبير ».

— وماذا أجبته ؟

— أجبته بأنهم نادوه كذلك لأنهم يفقسون من البيض مثله.

حملت زوجة الأب مدقًّا قديمًا وركضت إلى غاية النهر ثم رمته فيه. ولمّا رأت أن التمساح لم يخرج، نادته فظهر. وقالت له :

— ساعدني في العثور على مدقّي. أنا زوجة أب الفتاة الصغيرة التي رأيتَها قبل قليل، وأنا جاهزة للإجابة عن أسئلتك.

وروى لها التمساح نفس الحكاية، غير أنّه استبدل النّعامة وطائر الغرنوق بالحمار الوحشي والقرد. ثم سألها :

— هل تعتقدين حقًّا بأنني أخوهما.

هتفت المرأة قائلةً :

— طبعًا، لأنهما يفقسان من البيض كالتماسيح.

صاح التمساح :

— إنك تستهزئين بي، سأعاقبك.

انقضّ التمساح على المرأة، وشلّ حركتها بركبته ثم جرّها تحت الماء حيث افترسها.

القسمة



الشّراكةُ مع من هُم أشدّ منك قوّةً
قد تنطوي على مُخاطرة كبيرة.

يُروى أنّ الأسد والضبع وابن آوى عقدوا شراكةً للصيد في السفانا، فأمسكوا جاموسًا وأحد حيوانات « النو » ونمسًا[1].
وهكذا، أمر الأسدُ الضبعَ :
– ستتولى أنت القسمة.

---

1. نمس : حيوان ثديي لاحم يشبه حيوان ابن عرس. يبلغ ارتفاع النمس 50 سنتيمترًا، ويهاجم الأفاعي حتى السّامة منها، إذ أنه محصّن ضدّ سمّها.

أجاب الضبع :

— سيكون من العدل لو تأخذ أنت الجاموس، ويأخذ ابن آوى النمسَ، أمّا أنا فسأرضى بحيوان النو.

زأر الأسد غاضبًا من قوله، ولطمه بضربة قوية على رأسه كسرت عنقه. فقضى المسكين نحبه من فوره. عندئذ، توجّه الأسد بالخطاب لابن آوى :

— إنّه دورك لتقوم بالقسمة.

قال ابن آوى :

— حسنًا، سيكون الجاموس وجبةً مُناسبة لغدائك، والنو لعشائك، فيما يمكنك أن تتناول النمس غدًا صباحًا وقت الإفطار.

— منذ متى وأنت تتحلى بمثل هذه الحكمة ؟ سأله الأسد.

أجاب ابن آوى قبل أن يبتعد منصرفًا :

— منذ أن حظيتُ بشرف مُلازمتك عن كثب ومُلاحظة تصرّفاتك.

الرَّجُل والسّلحفاة



يقول المثل الإفريقيّ : « الصّداقة ليست في حاجةٍ للفُلفل كي تبكي ».

يُروى أنّ صداقةً كانت تجمع بين رجلٍ وسلحفاة، كانا لا يفترقان أبدًا، إذ لا يُرى أحدهما في مكانٍ إلّا ويبرز الآخر.

ذات يوم، وجّه الرجل للسلحفاة دعوة على العشاء في منزل أحد أعمامه، فلبّت الدعوة، وانطلقا في اليوم الموالي، وبعد أن سارا لساعات طويلة في السفانا، بلغا مقصدهما عند منتصف الظهيرة. واستُقبلا في المضافة المخصّصة للمدعوّين.

— لا شك أنّكما جائعان.

هذا ما قاله العَمّ قبل أن يطلب من زوجته أن تُقدّم لهما الطعام المكوّن من الذُّرة البيضاء.

ولم تكد زوجة العمّ تُحْضر طبق الأكل حتّى لاحظ ابن الأخ أن كميّة الطعام كانت قليلة ؛ فقال في قرارة نفسه : « إن اقتسمته مع السلحفاة، فلن أحصل على ما يكفي لإشباع جوعي »، وهكذا عزم على أكل الذّرة بمفرده. ولكن، كي يتحقّق له هذا، يجب أن يُبعد صديقته. فقال لها :

— لا يمكنك أن تأكلي بهذه القوائم المُتّسخة، اذهبي إلى البِرْكة واغسلي قوائمك.

وافقته السلحفاة الرّأي ومضت إلى النّهر، ومع خروجها من البيت انقض هو على الطّبق.

لمّا عادت السلحفاة قالت :

— ها هي قوائمي نظيفة الآن.

فردّ الرجل :

— ولكن لا، إنّها ما تزال ملوّثة بالتراب.

لم يكن للمسكينة إلا الاعتراف بذلك، وما كان لها مناص من الذهاب ثانيةً إلى البِرْكة حيث غسلت قوائمها، ولكنها عندما رجعت كانت قد اتّسخت من جديد. فكان عليها غسلها مرة

أخرى. وفي نهاية المطاف، اكتشفت السلحفاة بأن كمية الذّرة في الصحن تتناقص كلّما ذهبت وعادت، فأدركت حيلة صديقها، وقالت في سرّها : « إنه يبعث بي إلى البِرْكة مرارًا وتكرارًا ليتمكّن من أكل الطعام بأكمله ».

عندئذ، قفزت السلحفاة في الصحن مغتاظةً بسبب احتياله عليها ؛ فقال الرَّجل بغضب :

— هل أصابكِ الجنون ؟

ثم أمسكها من أحد قوائمها بشدّة، وسحبها من الطبق وأخذ يلعق بنَهَم قوقعتها المُغطّاة بالذّرة، مُبتدئاً من الأعلى ثم الأسفل ؛ وهذا ما جعل السلحفاة في قمّة السخط. ولمّا أراد الرجل أن يلحس رأسها، أمسكته من لسانه وأحكمت القبض عليه بين فكّيها. فقال :

— اتركيني، إنك تؤلمينني.

— لا، لن أفعل !

— أرجوكِ، اتركي لساني.

— ليس قبل أن تأخذني إلى النهر.

خرج الرجل من البيت راكضًا، فيما كانت السلحفاة متشبّثةً بطرف لسانه. وسرعان ما وصل إلى ضفّة النهر.

قال لها :

— أما آن لك أن تتركيني أخيرًا ؟

— ليس قبل أن تدخل في الماء.

امتثل الرجل لرغبتها. وما إنْ جاوز ارتفاع الماء قامته حتّى أفلتت السلحفاة لسانه وسبحت هاربةً. ولم يُر لها أثرٌ قَطّ.

ومُذّاك الحين، اختارت بعض السلاحف، تبرّمًا من الإنسان، ترك اليابسة والعيش في المياه.

القرد يقع في الفخّ الّذي نصبته يداه



يقول المثل الإفريقي : « إنّنا لا نُعلّم القرد العجوز كيف يعبس بوجهه ». أي أنّه من العبث تعليم أمرٍ ما لمن هو خبيرٌ فيه. رغم أن هذا المثل ينطبق في هذه الحكاية على الأرنب وليس القرد.

يُروى أنّ قردًا تقدّم في السّنّ، فصار يُواجه صعوبات في الصّيد أكثر فأكثر. كان يحدث أحيانًا أن يظلّ أيّامًا عديدة دون أن يدخل جوفه أيّ طعام ؛ وهكذا، صار يهيم على وجهه في حقول السافانا لعلّه يعثر على بعض البيض في عشّ من الأعشاش أو بقايا طريدة من مخلّفات حيوانٍ مُفترس.

ذات يوم، انطلق القرد مع طلوع الفجر، وعبثًا سار إلى أن بلغت الشمس كبد السماء فأضحى القيظ حارقًا، واضطُرّ إلى الاحتماء تحت شجرة كبيرة. وما إن همّ بالجلوس فوق أحد جذورها البارزة خارج التراب ذات العُقَد الكثيرة، حتى سمع صوتًا يقول له :

— تنحَّ جانبًا، إنّك تجلس على أقدامي !

رفع القرد رأسه مشدوهًا، وسأل :

— هل أنتِ من يكلّمني أيّتها الشجرة ؟

أجاب الصوت :

— لا أحبّ أبدًا أنْ أُنادى باسم « الشجرة ».

وسرعان ما هوى عليه غصنٌ بقوّة ليضربه. ومع أنّ القرد لمحه وهو مُتّجه نحوه، إلّا أنّه لم يتمكّن من تفادي الضربة تمامًا، فأصيب في رأسه وتدحرج على الأرض حيث بقي ذاهلًا من أثر الصدمة قبل أن يُعاود القيام مُحدّثًا نفسه : « لقد نجوت بأعجوبة، كاد هذا الغصن أن يقتلني ! ».

لم تكن هذه الشجرة تُشبه أيًا من الأشجار التي رآها القرد قبلًا، فهي بمثابة فخّ مُحكم يمكن الاستفادة منه للإيقاع بالحيوانات. وراح القرد بسرعة يتخيّل النفع الكبير الذي سيجنيه، وقرّر استعمالها للصيد. ثمّ جلس ينتظر وصول

طريدة من الطرائد، وإنْ هي إلّا لحظات حتى لاح في المكان كلبٌ برّيّ من نوع الليكايون[1]، فاقترح عليه القرد :

— أقْبِل إلى الظّلّ كي ترتاح.

قَبِل الكلب البرّيّ العرض، وتقدّم ليجلس على أحد الجذور العريضة للشجرة. وعلى الفور، سُمع الصوت يقول :

— ألا ترى بأنك تجلس على أقدامي ؟

غمغم الكلب البرّيّ :

— ولكن من يتكلّم ؟.. الشجرة ؟

ولم يكد ينطق بالكلمة المشؤومة حتى بادره أحد الأغصان بضربةٍ عنيفةٍ على رقبته ؛ فابتسم القرد وهو سعيد بنجاح مُخططه، ثم اقترب من الكلب الهامد، أمسكه وجرّه جانبًا ليلتهمه، ثم عاد ممتلئ البطن إلى مسكنه.

وفي الغد، عاد القرد وقرّر الإقامة غير بعيدٍ عن الشجرة التي ستكون مصدر رزقه اعتبارًا من الآن. وقُرب هذه الشجرة، شهد موت نمسٍ وغزالٍ من غزلان الديك ديك[2] وخنزيرٍ برّيّ وكثيرٍ من الحيوانات الأخرى.

---

1. الليكايون : كلب برّيّ يعيش في قطعان. وكما الضبع، يقتات الليكايون من الصيد عبر مطاردة فريسته، إذ يمكنه أن يتعقّب حيوان « النو » أو الغزال خلال أكثر من سبعة كيلومترات.

2. الديك ديك : نوع من الغزلان الصغيرة جدًّا.

ذات يوم، ظهر الأرنب في الجوار. وكان الأرنب قد أوقع بالقرد سابقًا في حبائل بعضٍ من خُدَعه ؛ فانشرحت أسارير القرد وهو يتخيل الأرنب في عِداد ضحاياه، ناهيك عن أنّ لحم الأرنب، كما هو شائعٌ، لذيذ المذاق. فأخذ القرد يفرك بين يديه حينما رأى الأرنب يقترب. وقال له :

— تعال لتستريح قليلًا تحت الظّلّ.

سأل الأرنب :

— وأين أجلس ؟

— هنا !

— أين هنا ؟

— على هذا الجذر.

ثم جلسا جنبًا إلى جنب. وسُمع الصوت مرّة أخرى :

— لقد ضقت ذرعًا من جلوسكم على أقدامي.

حافظ القرد على سكونه فيما قفز الأرنب وقال في دهشة مُشيرًا إلى الشجرة :

— إنّها هي من يتكلم !

فسأله القرد في محاولة لجرّه إلى النطق بالكلمة المشؤومة :

— مَن هي ؟

— تلك التي لم يسبق لي قَطّ أن سمعتها تتكلم حتّى اليوم.

— مَن ؟

— تلك التي نقف تحت ظلّها.

— أنت لا تعبّر عمّا تريد قوله بوضوح.

— ولكنك تفهمني.

— صحيح، ولكن كان من الأبسط لو قلتَ بأنّك لم تسمع في حياتك كلامًا من...

— من ماذا ؟

— شجرة.

ببلاهة، ترك القرد هذه الكلمة تُفلت من لسانه، وسرعان ما ضربه الغصن، ومات ضحيّةَ الفخّ الذي نصبته يداه.

الصّداقة



تتحدّث هذه القصّة عن صداقةٍ جمعت بين طفلٍ وشبل.

يُروى أن طفلًا وشبلًا وُلدا في السافانا في ذات اليوم. كانا يعيشان على مقربة من بعضهما البعض، ودائمًا ما يلعبان سويًّا، فصارا صديقَين حميمَين.

ذات صباح، خرجت أمّ الشّبل للصّيد، فصادفت أمّ الطّفل الّتي ترجّتها قائلةً :

— أبقي على حياتي أرجوك.

لكنّ اللبؤة لم تُلق لتوسّلاتها بالًا فقتلتها. وأبى الشّبل أن يأكل من لحم أمّ صديقه، بل إنّه حفر حفرة ودفنها ؛ فاغتاظت اللبؤة غيظًا شديدًا، ولامته قائلةً :

— أنا أُجهد نفسي في الصيد لإطعامك، وأنت ترفض ما أجلبه لك. إنّ سلوكك هذا غير مقبول.

فأجاب الشبل :

— إنّنا لا نأكل أمّهات أصدقائنا، حتى ولو كُنّا جوعى.

وردّت اللبؤة :

— البشر ليسوا أصدقاء الأسود.

— ولِمَ لا ؟

وعلت نبرة النّقاش بينهما حتى أضحى جدالًا عقيمًا ؛ فتركت اللبؤة الشبل وانصرفت. أمّا هذا الأخير فقد سكب بعض الدموع قبل أن ينضمّ إلى الطفل حيث قصّ عليه تفاصيل ما حصل. عندئذ، تعاهدا على أن يبقيا صديقين على الدوام، وأن يساعد كلّ منهما صديقَه، ثم عزما على الرحيل للعيش في مكان آخر.

انطلق الصديقان سيرًا ناحية الجنوب، وبعد عدّة أيّام استقر بهما المقام قرب منبع مياه حيث الطرائد مُتوفرة. كانا يصيدان معًا، الأسد بمخالبه وأنيابه، والطفل بالقوس الذي صنعه بيده. في البداية، كانا يفتقدان للمهارة، ولكنهما كانا يزدادان حذقًا وفطنة كلّما كبرا في العمر.

ذات ليلة، وبينما كانا يغوصان بين الأعشاب الطويلة تحت ضوء الأشعة الباردة المنبعثة من البدر في تمام اكتماله. تفتّق الوعي لدى الشّاب بشأن حالة العُري التي هو عليها. فسأل صديقه :

— ألا تنزعج من كونك تعيش عاريًا ؟

— لا، فأنا أعيش هكذا ككل الحيوانات !

قال الفتى :

— أمّا أنا فأريد مئزرًا لأواري به جسدي.

— سنحاول تأمين مئزر لك.

بعد مضيّ بضعة أيام، التقى الصديقان ببائع متجول، فانقضّ عليه الحيوان المفترس، وبطحه أرضًا مُطبقًا على جسده. صاح البائع متوسّلًا :

— الرحمة ! سأمنحك كل ما أملك، ولكن اتركني أعيش.

قال الشاب :

— لا أريد منك إلا مئزرًا ألبسه.

— سأعطيك واحدًا.

أفلت الحيوان ضحيته، فاستقام البائع على قدميه. وبعد أن بسط أمام الشاب عدّة مآزر قال :

— اختر من بين هذه.

فتناول الفتى أجمل واحدٍ بينها.

كان الصديقان سعيدين بالعيش والصيد معًا. كبُرا وصارا بالِغَين دون أن يدبّ بينهما أدنى خصام أو مشاجرة. كان الأسد شديدًا ذا هيبة، فيما كان الرَّجل ضخم الجسم، قوي البنية، ذا بأس وشجاعة.

ذات يوم قال الرَّجل :

— ها أنا ذا قد بلغتُ سن الزواج.

قال الأسد :

— إذن، فلنبحث لك عن زوجة.

جاب الصديقان حقول السافانا إلى أن عثرا على قرية. وعندها قال الأسد :

— ابق مُختبئًا خلف أحد الأكواخ، ولا تتدخل حتى أُحدث لك إشارة.

وما إن لمح الأسد فتاةً في ساحة القرية حتى وثب عليها وأمسكها ثم أجبرها على التمدّد وثبّتها أرضًا دون أن يمسّها بسوء. وكان للفتاة مُعجبون كُثُر في القرية فهبّوا مُسرعين إليها حينما سمعوا صرخاتها، ولحق بهم والد الفتاة الذي كان زعيم القرية، وقال :

— من يُنقذ ابنتي من بين مخالب هذا الأسد سأمنحه الحق في الزواج منها.

كلّما حاول أحد المُعجبين مهاجمة الأسد، أطلق هذا الأخير زمجرة قويَة فَيَلوذ بالفرار، هكذا حتى ولّوا جميعهم هاربين الواحد تلو الآخر، وعندها أحدث الأسد إشارة برأسه فاقترب صديقه الذي توجّه إلى والد الفتاة مُخاطبًا :

— إذا تمكّنت من إبعاد هذا الأسد، فهل توافق على تزويجي من ابنتك ؟

قال زعيم القرية :

— أفعل ذلك بكل سرور وحبور.

فالتفّ المعجب الجديد صوب الحيوان الأصهب المُفترس. وقال له بنبرة حازمة :

— اتركها وانصرِف من هنا، إن لم تكن تريد أن تموت على يدي.

وهكذا ابتعد الأسد، وأُقيم زفاف العروسين بعد أن شّيد لهما زعيم القرية كوخًا. وكل صباح، كان الأسد يأتي إلى صديقه ويمضيان سويًا إلى الصيد.

بعد سنوات قليلة، تزوّج الرجل من امرأة ثانية، وأنشأ لها كوخًا آخر لتقطن فيه. واستمر يخرج للصيد مع الأسد كما اعتاد فعله دومًا. ولكن الزوجة الثانية لم تكن تحب الحيوان الأصهب، فبدأت تتظاهر بأن الأسد يتسبّب في تدهور حالتها الصحّيّة، وراحت تُكرّر على مسامع زوجها الكلام ذاته :

— إن رائحته تزعجني، يجب أن تمنعه من القدوم إلى هنا.

ولكنّ الرجل تركها تتحدث دون أن يلقي بالًا لكلامها، مُقتنعًا بأنها ستسأم في آخر المطاف. غير أنّ هذا لم يحدث، بل إنّها عقدت العزم على التخلص من الأسد وأجّرت شخصًا لقتله. اختبأ هذا القاتل المأجور وقد تسلّح بقوسه خلف شجرة الباوباب الوحيدة الموجودة في القرية، وارتقب حضور الحيوان الأصهب. وما إن لمحه حتى رماه بسهم اخترق عنقه. ركض الأسد الجريح بعيدًا عن القرية. وسرعان ما خارت قواه فجعل يترنّح ثم اضطُرّ للتوقف.

حينما علم الزوج بالفعلة الشنيعة لزوجته، سارع في اقتفاء أثر الأسد، وألفاه مُمدّدًا تحت شجرة من أشجار السّنط. كان جسده باردًا ؛ حينها أدرك بأنّهما لن يخرجا سويًّا للصيد مرّة أخرى، فاجتاحه حزن عميق. ثم حفر قبرًا ودفنه، إذ لم يكن يريد للأسد أن يبقى فريسةً للنّسور. ثم هام الرجل التعيس على وجهه في السافانا من غير هدى طوال أيام وأيام. وفي النهاية رجع إلى مسكنه. وبعد أن افترق عن زوجته الثانية، تمكّن رويدًا رويدًا من العودة إلى الصيد دون صديقه الأسد.

الفيل ووحيد القرن والسّلحفاة



بالحيلة والمكر تقرض السّلحفاة
وجودها أمام الحيوانات الأشدّ منها قوّة.

ذات يوم، أدّت السلحفاة زيارة للفيل، وقالت له :

— يعتقد الجميع بأنّك أكثر الحيوانات قوّة في السافانا، بينما، في الحقيقة، أنا أملك قوّة تفوق قوّتك. انفجر الفيل ضاحكًا، وردّ عليها :

— اغربي عن وجهي إن كنت لا تريدين أن أسحقك.

— أعرِضُ عليك التباري غدًا في نفس هذا الموعد. سأُحضر معي حبلًا، وسيشدّ كل واحد منّا من جهته، وسنرى من الأقوى.

قبل الفيل خوض المباراة، فيما ذهبت السلحفاة إلى وحيد القرن وقالت له :

— إننّا نسمعك دائما تتبجّح بقوّتك، ولكنني أمتن منك وأصلب.

ردّ وحيد القرن :

— هل تمزحين ؟

— لا أبدًا ! غدًا سأجلب حبلًا وسيشدّ كل واحد من طرف، وهكذا نعرف من منّا الأقوى.

في صباح اليوم الموالي، أعطت السلحفاة الفيل أحد طرفي حبلها الطويل، فأمسكه بخرطومه. وقالت له :

— لا تبدأ في السّحب حتى تسمع صُراخي.

ثم مدّت السلحفاة الحبل ومرّرته فوق رابيةٍ تفصل بين الفيل ووحيد القرن حالت دون أن يريَا بعضهما بعضًا. وسلّمت الطرف الآخر لوحيد القرن الذي التقمه بأسنانه. وقالت له :

— انتظر حتى أصل إلى الطرف الآخر وأصرخ لنبدأ في الشدّ.

ثم صعدت إلى أعلى الرّابية مُقتفيةً أثر الحبل، وحينما بلغت قمّتها اختبأت تحت أجمةٍ وتمهّلت قليلاً قبل أن تُطلق إشارة البدء صارخةً :

— اسحب.

ارتكز كلٌّ من الفيل ووحيد القرن على قوائمهما الأربع وشدّا الحبل، لكن لا أحد منهما تمكّن من زحزحة الآخر عن مكانه. وشدّا ثانيةً، وشدّا بكل ما أوتيا من قوّة، ولكن دون جدوى. فصاحت السّلحفاة وكأنّها تعبت من الصمود :

— لِنُوقِف هذا النزال.

ثم برزت من مخبئها وذهبت لرؤية الفيل ثم وحيد القرن، حيث اعترف الاثنان بأنها أقوى بكثير ممّا اعتقداه. وبعد السهولة التي وجدتها السلحفاة في مُخاتلة هذين الحيوانين الضّخمين، قرّرت الإيقاع بغيرهما. ومُذّاك ما انفكّ عدد الحيوانات في السافانا التي أضحت تحسب للسلحفاة ألف حساب يزداد يومًا بعد يوم.

الضّبع وابن آوى



لا تفرح بمكرك، فهناك من هو أمكر منك.

في ذلك العام، أمسكت السّماء مطرها، فعانت السافانا تحت وطأة الشمس الحارقة، وضربت المجاعة أطنابها بين القطعان مُبيدةً إيّاها، ولم تعد الحيوانات المُفترسة تجد ما يكفيها من فرائس.

دفع الجوعُ الضبع وابن آوى إلى عقد حلف للتعاون في الصيد. وذات يوم، بينما كانا يمشيان جنبًا إلى جنب وبطناهما خاويان، لمحا على جانب الطريق خنزيرًا بريًّا قد نفق لتوّه، وشرعت بعض العقبان الجارحة في نهش لحمه.

ظنّ كل واحد منهما أنّه الوحيد الذي رأى هذا المشهد، فالتزما الصّمت كي يتجنبا اقتسام الفريسة فيما بينهما. وواصل الشريكان مسيرهما. ثمّ، في لحظة من اللحظات، وجد كلٌّ منهما الأسباب المُقنعة التي أتاحت لهما الافتراق. على أنّ كل واحد منهما خطّط للعودة سريًّا للاستحواذ على اللحم.

مضى الضبع يمينًا، فيما انصرف ابن آوى يسارًا. وبعد جولة طويلة، وجدا نفسيهما يقفان وجهًا لوجه أمام الجثّة، وشرعا في إبعاد الطّيور الجارحة. وبما أنّ ابن آوى يعلم بأنه أضعف من الضّبع، اقترح عليه اقتسام الخنزير البري. فردّ الضبع :

— إنّه هزيل جِدًّا، ولن يُغني جوعنا نحن الاثنين. لذا، سيأخذه الأكبر سنًّا بيننا.

قبِل ابن آوى الاقتراح، إذ لم يكن له خيار آخر. وقال :

— كما تريد.

قال الضبع :

— لقد وُلدت مع ولادة الكون، فأنا قديم قِدم العالم ؛ ما يعني أنني أكبر منك سنًّا.

حينما أنهى الضبع كلامه، أجهش ابن آوى بالبكاء.

فقال له الضبع :

— لا تبكِ، فأنت لا تزال شابًا وستُهديك الحياة خنازير برّيّة أضخم من هذا. وما عليك إلا التحلي بالصبر.

قال ابن آوى مُستدركًا :

— لست أبكي بسبب اللحم كما تظن، ولكنّ يوم ولادتك يُصادف ذكرى أليمة لديّ. إنّه يوافق اليوم الذي توفي فيه ابني، وهذا دليل قاطعٌ، كما ترى، على أنّني أنا الأكبر سنًا.

وهكذا أبان ابن أوى عن مكرٍ أشدّ من مكر الضّبع، وبات الضبع مضطرًّا للتخلي عن الخنزير البري وانصرف دون أن ينبس ببنت شفة.

نصيحة السّلحفاة



يقول إيرازموس : « لا تُسدِ النّصيحة لأحد ما لم يتوسّل إليك من أجل ذلك ».

يُحكى أنّ السّلحفاة ألقت ذات يوم خطابًا بحضور الحيوانات جميعها، تلك التي تعيش على اليابسة، والتي تغوص في المياه، وأيضًا التي تُحلّق في السماء. قالت لهم :

– أيّها الأصدقاء، لديّ نبأ هامٌّ أُعلمكم به.

قاطعها الإمبالا[1] :

1. الإمبالا : ظبي إفريقي. يستطيع الإمبالا أن يرتقي في نطّه إلى ارتفاع 2,5 متر، ويمكن لوثبته أن تبلغ عشرة أمتار طولاً.

— ما من شيء يحدث في السافانا إلّا ونعلمه.

قالت سمكة الجِرّيّ بنبرة ساخرة :

— فما الجديد الذي وجدَتْهُ هذه السلحفاة ؟

وقال النسر :

— دعوا السلحفاة تتكلم.

تابعت السلحفاة كلامها :

— أصدقائي، لقد اكتشفتُ نبتةً تُشكّل خطرًا كبيرًا على الحيوانات، وأقترح أن ندمّرها في الحال.

تساءلت بعض الحيوانات :

— عن أي نبتة تتحدثين ؟

واستفسر الباقون :

— هل هي نبتةٌ مُفترسة ؟

ردّت السلحفاة :

— لا أبدًا، إنّه القنب[1]، زرعه أحد البشر قبل فترة بسيطة في مكان قريب من هنا.

عندها هز عددٌ من الحيوانات أكتافهم تعبيرًا عن عدم اكتراثهم. ولكن بعضهم رغبوا في رؤية شكل هذه النبتة

1. القنب : نبتة ذات أوراق على شكل سعفات. تُزرع للاستفادة من سيقانها، إذ تُعطي ألياف نسيجية ممتازة.

الغريبة التي لم يسبق لهم أن سمعوا عنها، فقادتهم السلحفاة إلى غاية الحقل، وقام أكثرهم جسارةً بتذوّق أوراق القنب فوجدها شديدة المرارة، وبعد لحظات قال :

— لا شيء نخشاه من هذه النبتة. لقد تذوّقتها، وها أنا ذا مازلت حيًّا.

وقتئذ غادر الجميعُ الحقلَ ساخرين من السلحفاة.

لمّا حان موعد الحصاد، قصّ الرجل حشائش القنب ولفّها على شكل حبال. أخذ واحدًا منها وشدّه بين طرفي غصنٍ غضٍّ فتشكّل لديه قوس. وأراد تجربته فسدّد به سهمًا أصاب النسر الذي هوى على الأرض مسحوقًا. وفيما كان النسر يلفظ أنفاسه الأخيرة، اقتربت منه السلحفاة وهمست له :

— لو أنّكَ قبِلت تدمير حقل القنب، لكنت ما تزال تُحلّق في السماء.

لاحقًا، بتر الرجل قطعةً طويلةً من الحبل وربط طرفها بِعَصَا. ثم ثبّت شصًّا على الطرف الآخر فتحصّل على صنّارة صيد. توجّه إلى ضفة النهر، وسرعان ما أمسك بسمكة الجِرّيّ، ففكّها عن الصنارة وألقاها على رمال الشاطئ حيث أخذت تحتضر ببطء. تقدمت منها السلحفاة قائلةً :

— لو أنكِ أصغيتِ لنصائحي بشأن تدمير حقل القنب، لكُنتِ تسبحين في النهر الآن.

استلم الرجل قطعةً أخرى من الحبل وصنع منها طوقًا، ثم نصب به فخًّا في السافانا. ووقع ظبي الإمبالا في حبائل هذا الفخ، وحينما كان يتخبط للإفلات من الطوق، سقط وكُسرت إحدى قوائمه. وحدّثته السلحفاة فيما كان الصياد قادمًا للقضاء عليه، وقالت :

— لو أنك فقط أصغيت لنصائحي ودمّرت حقل القنب، لكنتَ ما تزال تركض في السافانا.

وكانت هذه بداية مُعاناة الحيوانات مع وجود البشر، إذ دفعوا الثمن غاليًا لعدم أخذهم نصيحةَ السلحفاة على مَحمَل الجِدّ.

القرد والأرنب



لكلّ منطقة أمثالها وحِكَمها وأقوالها المأثورة. فالأفارقة يقولون: « الفهد لا يتنقل من دون البُقع على جلده »، وتقول العرب: « طبعٌ بالبدن لا يُغيّره إلّا الكَفَن ».

يُحكى أن صداقةً جمعت بين القرد والأرنب. وكانا يتواعدان على اللقاء عدّة مرّات خلال بحر الأسبوع تحت شجرة من أشجار السّنط، حيث يقضيان السّاعات القائظة من النهار. وفي حال طرأ أيّ خطر، يتسلّق القرد الشجرة على جناح السرعة، فيما يتوارى الأرنب في جحرٍ أسفل جذع الشجرة.

ذات يوم، كان الصديقان على دأبها يتبادلان أطراف الحديث حول آخر ما يُتداول من أخبار في السافانا، وأثناء ذلك، أطلق الاثنان العنان لعاداتهما المألوفة.

وهكذا كان القرد يهرش جلده بين الفينة والأخرى مُوجِّهًا إليه ثلاث أو أربع ضربات متتالية بقائمةٍ من قوائمه، بينما راح الأرنب يلتفت برأسه دون انقطاع بين الجهتين اليمنى واليسرى.

قال الأرنب لصديقه :

— منذ أنْ عرفتك، وأنا أراك تهرش جلدك في كل لحظة. ألا تكفّ أبدًا عن فعل ذلك ؟

ردّ القرد :

— وأنت، ألن تتوقّف يومًا عن الالتفاف برأسك دون كلل أو ملل في كل الاتجاهات ؟

— بالطبع أستطيع، ويكفي فقط أنْ أقرّر حتى أفعل ذلك.

— أشكّ في أنك تستطيع أن تصمد طويلًا دون الإتيان بأيّ حركة.

قال الأرنب :

— أراهنك بأنني سأصمد لفترة أطول منك.

— لنحاول، وسنرى.

— من يتحرّك أوّلًا يكون الخاسر.

كفّ الصديقان عن الإتيان بأدنى حركة. ولكن سرعان ما أدركا بأنهما لن يطيقا هذا السكون. وشعر الأرنب بتوتّر فظيع يتسرّب إليه حينما أخذ يُفكّر في أنّ خطرًا قد يحدق به وهو على هذا الوضع. أمّا القرد، فقد كان جلده يحكّه بشدّة فصكّ على أسنانه كي لا يستسلم لرغبته في هرشه. وبعد انقضاء ساعة خُيِّل لهما أنّها دهرٌ بأكمله، قرر الأرنب أن يقترح على شريكه أمرًا وقال :

— في الواقع، إنّ رهاننا لا يَحُول دون أن نتبادل الحديث والحكايات كي ينقضي الوقت سريعًا.

أجاب القرد :

— معك حق.

وبدأ الأرنب في الحكاية :

ذات يوم من أيام فصل الجفاف، اضطُررت للابتعاد عن جحري بحثًا عن الطعام دون وعي منّي بالعواقب التي قد تنجرّ عن ذلك، فطاردتني مجموعةٌ من الضّباع، جاؤوني من كل جانب : من اليمين واليسار، من الأمام والخلف...

وخلال ما هو يروي، جعل الأرنب يُحاكي الأحداث وحرّك رأسه ينظر في مختلف الاتجاهات التي تحدّث عنها. وقاطعه القرد قائلًا :

— تصوّر بأنّ حياتي تعرّضت للخطر أيضًا حينما كنت شابًا. لقد لاحقنا، أنا وإخوتي، صيّادون مسلّحون بأقواسهم، وشرعوا يرموننا بسهامهم الكثيرة التي كانت تُصفّر في أذاننا حين مرورها بمحاذاتنا. لقد كنت محظوظًا ولم يُصبني أي سهم، ولكن أحدنا أصيب. إذ تلقّى سهمًا هنا، وآخر هنالك، وواحد ثالث في الركبة...

ومِثْل الأرنب، كان القرد يقلّد الأحداث، وفي كل مرّة يشير إلى المنطقة المُصابة من الجسم وينتهز الفرصة ليهرشها. وهكذا هدأت رغبته في الحكّ.

عندئذ، انفجر الصديقان بالضحك، واقتنعا بأنّهما لن يتغيّرا أبدًا، وخسرا كلاهما الرهان. وعلى كل حال، لم يعد الرهان يعنيهما في شيء فنَسِيا أمر حسمه.

الصّياد وثعبان البواء والأواني السّحريّة



حينما تختار شيئًا فإنّك لا بُدّ
ستتخلّى في مقابله عن شيء آخر.

غمامةٌ من الغبار الأحمر الآجوري تلفّ السافانا، وحوافر حيوانات النو والحمير الوحشية والغزلان الهاربة من الجفاف تضرب في الأرض المتصدّعة. ككلّ عام في مثل هذه الفترة، تُهاجر هذه القطعان صوب مناطق يتوفر بها الماء. ستكون الرحلة طويلة ومضنية، وفي بعض الأحيان خطرة، ولن يكون بإمكان الحيوانات الأكثر ضعفًا أو الأقل حظًّا العودة من جديد. ما عاد لحيوانات النو أو الحمير الوحشية أو الغزلان

خيار ؛ يجب عليهم أن يركبوا هذا الخطر إن أرادوا البقاء على قيد الحياة.

ها هو أحد الصيادين يُتابعهم بناظرَيْه وهم يبتعدون، وريثما يعودون، يجب عليه أن يسعى في مُطاردة حيوانات أخرى. لقد نصب أفخاخه ولكنه لم يصطد شيئًا طيلة ثمانية أيام، وظنّ بأن سِحرًا قد مسّه، غير أنه أصرّ على مواصلة سعيه. وبعد مُضيّ ثلاثة أسابيع، أفلح أخيرًا في اقتناص ثعبان من ثعابين البواء. رفع حربته للانقضاض عليه، ولكن الثعبان ترجّاه أن يبقيه حيًا، فتريّث الصياد وقال :

— ما الذي يجعلني أُبقي على حياتك ؟ هل اعتدت أنت أو أقرانك أن تخلوا سبيل البشر أحياء ؟

قال الثعبان :

— إنني لم أمسّك بأدنى سوء.

واعترف الصياد :

— هذا صحيح، ولكنني لم آكل شيئًا منذ عدة أيام. أنا فقير وليس لدي خيار آخر، لا بدّ أن أقتلك كي أعيش.

— أبق على حياتي وسأجعل منك رجلًا غنيًا.

— إنك تهذر بأيّ كلام كي تحاول أن تتملّقني.

وردّد الثعبان :

— لا تقتلني، وستغدو رجلًا غنيًّا. إنّ مصيرك بين يديك، الفقر أو الغنى، السعادة أو الشقاء. فكِّر مليًّا في الأمر.

— إنْ أبقيتك حيًّا فإنني أخشى أن تنتهز الفرصة لمهاجمتي.

— لا شيء يدعوك للخوف.

— لقد علّمَتني حكايات أبي بأن أحتاط وأحذر، لا سيما مع الثعابين.

— معك كل الحق في أن تتحلى بالحيطة، ولكن ما تقوله الحكايات أحيانًا يكون بعيدًا عمّا يوجد في الواقع.

— لا، أبدًا.

— إنّ حيوانات السافانا شبيهة بالبشر، فيها الصالح الخَيِّر وفيها الطالح الشّرّير.

— وما يُثبت لي بأنّك لست من أهل الشر ؟

وألحّ الثعبان على الرجل مرّة أخرى :

— سأجعلك غنيًّا إن وافقت على إخلاء سبيلي.

غرس الصياد حربته في الأرض، وأخرج سكّينه وقطّع حبائل الشبّكة التي كانت تحجز الثعبان.

— لن تندم على فعل هذا.

هذا ما قاله الثعبان للرجل قبل أن يدعوه إلى مرافقته. وقاده إلى مملكة الزواحف. بدا أنّ الوقت في هذه البلاد متوقف، فذاك الذي يعيش ألف عام يحسّ كما لو أنّه ما لبث إلا لحظة. وهناك، أهدى ثعبان البواء للصّياد إناءين. وقال له :

— حين تعود إلى منزلك، ألقِ بأصغرهما على الأرض، وحالما ينكسر ستغدو رجلًا غنيًّا وستتمكّن أيضًا من أن تفقه لغة الحيوانات. واحتفظ بالإناء الثاني فسيُفيدك لاحقًا.

شكره الرجل واستأذنه في الانصراف. وركض متأبّطًا الإناءين تحت ذراعيه. وحينما وصل إلى مسكنه، كسر الإناء الأصغر ؛ وسرعان ما تحوّل كوخه إلى قصر فخم لَبِنَاتُه من الطّين الخامّ، يفيض بآلاف الثروات. وحول القصر، عاشت الأسود والضباع وبنات آوى والقوارض والطيور وكثير من الحيوانات الأخرى التي كان الصّيّاد يفهم لغاتها جيِّدًا. وهكذا، ثبَت صِدق كلام ثعبان البواء.

عادت قطعان حيوانات النو والحمير الوحشية والغزلان، واستمر الصياد في مطاردتها بدافعٍ من متعته الخاصة. وعندما كان يرجع إلى قصره أحيانًا خاويَ الوِفاض، لا يشعر بأدنى تكدّر، ذلك أن كل شيء كان متوفّرًا لديه. ولاحِقًا،

تزوّج الصياد من عدّة نساء وأنجب الكثير من الأطفال وعاش حياةً ملؤها السعادة.

ومضت ثلاثون سنةً رحل عن الصياد خلالها العديد من الأقرباء والأصدقاء، وكلّما كان يكبر في السن، كان الموت يخطف أفرادًا آخرين من محيطه.

وذات صباح، خرج الصيّاد للصيد مبكّرًا، فصادف غزالين كانا يتحدثان بشأنه. فقال أصغرهما سنًّا بنبرة حزن :

— هذا هو قاتل أختي.

وأجاب الثاني :

— عن قريب، لن يكون علينا أن نخاف منه لأنّ الموت يترصّده. وربّما سيضربه اليوم في الساعة التي ستقصر فيها الظلال حتى تبدو كما لو أنها ستختفي.

— إن كلامك غير صائب تمامًا ! إذ يبدو أنّه يملك إناءً له القدرة على إبعاد الموت عنه، وإذا كسره فسينجو بحياته، ولكنه وقتئذ سيفقد كل ثرواته، وسيعود من جديد للسعي في السفانا ويمارس الصيد من أجل أن يؤمّن قوته.

— يجب أن نسرق منه الإناء.

— لن يُجْدِيَ التفكير في ذلك نفعًا، فقصره مُحكم الحراسة.

اعترى القلقُ الشديد الصيّاد وهو يستمع لحديث الغزالين. وسرعان ما التفّ ورجع إلى قصره على عَجَل، وألفى الإناء السحري مغمورًا بالتراب في المكان ذاته الذي وضعه فيه قبل ثلاثين سنة، وهو تجويف محفور في جدار سميك مبني بالطين الأحمر. ثم فتح صناديقه وألقى نظرة على الذهب، والأحجار الكريمة والمجوهرات التي بداخلها.

وبين الفينة والأخرى، كان يقترب من النافذة ليُراقب حركة الشمس. كان بودّه لو أنّ له القدرة على إيقاف ارتقاء الشمس في السماء، وهكذا تحتفظ الأشجار بظلالها ممدودة.

كان الرجل في مأزق عصيب، أن يعيش فقيرًا أو يموت غنيًّا. وتملّكته الحيرة وهو يذرع المكان رواحًا وجيئةً بين الإناء والصناديق، فيما كانت الشمس مستمرّةً في صعودها.

لو عاد فقيراً كما كان، هل سيبتسم له الحظ مجدّدًا ؟ هل سيتمكّن من جمع مثل هذه الثروة ؟ ألن يكون من الأفضل لو يتخلى عن الحياة ويورّث أطفاله هذه الثروات ؟

اقترب منتصف النهار. أمسك الرجل بالإناء وتردّد مجدّدًا ثمّ....

لو كنتَ في مكانه، ماذا كنت ستفعل ؟

فهرس

أنجز طبعه في أفريل 2019
على مطابع ع. ڤرفي - بـاتنــة - الجزائر